

الهجوم



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

الهجوم

- ما زالت أجهزة مخابرات خمس دول تطارد (أدهم) .
- والقوات الأمريكية كلها تسعى خلفه ، فى قلب دولتها ..
- والعالم كله فى خطر ، بسبب سلاح رهيب ، يمتلكه زعيم (المافيا) الروسية ، ويسعى خلفه الإسرائيليون ، بأمل السيطرة على العالم ..
- و (سونيا) دخلت الصراع بقوتها ، فى نفس الوقت الذى اختار فيه (أدهم) أن ينتقل ، من الدفاع إلى خانة الهجوم ..

159

- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع رجل المستحيل ، فى مهمته الأخيرة .

رجل المستحيل



الثمن فى مصر 400 قرشاً
فى سائر الدول العربية والعالم



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة .. لقب «رجل المستحيل» .

د. نبيل فاروق

1 ـ كل الرجال ..

شعر رجال المخابرات العامة المصرية بدهشة حقيقية ، عندما حضروا ذلك الاجتماع العاجل ، الذى دعا إليه مدير المخابرات العامة شخصيًا ، فى حجرة اجتماعاته الخاصة ..

لم يكن ذلك بسبب توقيت الاجتماع ، الذى بدأ قبل أذان الفجر بنصف ساعة كاملة ، فقد اعتادوا بحكم عملهم مثل هذه الأمور ، واعتادوا أن يناموا بنصف عين ، ونصف عقل ، وأن يستعدوا للحركة فور صدور الأمر بهذا ، أو إذا ما حتمت الأمور ذلك ، وأن يستعيدوا كل نشاطهم وحيويتهم وصفاء أذهانهم فى لحظات سريعة ولكن الدهشة كانت بسبب أمر آخر ..

أمر لم يعتادوه فى عملهم ..

أبدًا ..

ففى حجرة الاجتماعات الخاصة ، التى يدخلها فى المعتاد رؤساء الأقسام ، أو كبار رجال السياسة أو الأمن ، كان يجلس رجل ، لم يروه فى حياتهم قط ..

شيخ تجاوز السبعين من عمره ، أشيب الشعر ، متغضن الوجه نسبيًا ، هادئ الملامح ، على الرغم من لمحات خفيفة من التوتر ،

تبدو فى طرف شفتيه فحسب ، ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، كان يتمتع بحيوية شديدة فى عينيه ، ربما لا يتمتع بها شاب فى العشرين ، وبرصانة ومهابة ووقار ، أجبرتهم جميعًا على الجلوس بمنتهى الاحترام والتقدير ، على الرغم من جهلهم بشخصيته ..

ولكنه كان يجلس هناك ..

فى المقعد الأوَّل ، من الصف الأيمن من مائدة الاجتماعات ..

إلى جوار مقعد المدير ، الذى يحتل رأس المائدة ..

وهذا يؤكد أنه شخصية مهمة ..

للغاية ..

« أنتم لا تعرفون هذا الرجل حتمًا ، ولم تلتقوا به أبدًا على الأرجح .. »

نطقها المدير فى صرامة ، فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة ، وإن أماءوا برءوسهم علامة الإيجاب ، ونظراتهم إلى الرجل تزداد فضولاً وشغفًا وحيرَة ..

« لقد كان يرأس أحد أهم الأماكن هنا ، حتى عشر سنوات مضت .. »

تفجَّرت دهشتهم كألف ألف قنبلة ، مع قوله هذا ..

كان يعمل هنا ..

فى المخابرات العامة ..

وحتى عشر سنوات مضت ..

كيف إذن لا يتعرَّفه أحدهم ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

« كان يرأس مخابرات رياسة الجمهورية ، والعمليات الخاصة جدًا .. »

قالها المدير ، وكأنه يجيب على كل التساؤلات الملتهبة ، التى تدور فى رءوسهم ، قبل أن يستطرد :

- إنه قسم بالغ السرية والتعقيد كما تعلمون ، لأنه أوَّل قسم يمكن أن يستهدفه كل من يحاول أو يفكر حتى فى الإساءة إلى مصر .. محاربتها ، أو تدميرها ، وإفساد شبابها ، أو بذر الخلافات والفتن الطائفية بين مواطنيها ، وصولاً إلى المحاولات المباشرة لتقوية تيار دون آخر ، بهدف قلب نظام الحكم .

كانوا جميعًا يعرفون هذا ، ويحفظونه عن ظهر قلب ، ويعرفون أو يسمعون عن هذا القسم أيضًا ، ولكنهم لم يروا رئيسه ، أو أحد العاملين فيه أبدًا ، من فرط السرية والتعمية ..

ثم إنهم لا يعملون داخل حرم الجهاز نفسه ..

لهم مقر آخر ..

سرى ..

أو بالغ السرية ..

إلى حد مدهش ..

« قبلها كان يرأس قسم الشئون الإسرائيلية فى الأمن القومى لسنوات ، عقب اغتيال زميله وصديق عمره السيِّد (صبرى) .. »

وهنا جذبهم الأمر بشدة ، واشرأبت أعناقهم وهم يحدقون فى الرجل بمنتهى الاهتمام ، والمدير يكمل فى حزم ، مديرًا عينيه فى وجوهم :

ـ والد (ن ـ 1) .

غمرهم شعور عجيب ، هو مزيج من الانفعال والانبهار والرهبة ، قبل أن يغمغم أحدهم ، والكلمات ترتجف على شفتيه :

ـ السيِّد (حسن) .

التمعت عينا الأشيب ، وهو يجيب ، فى رصانة مدهشة :

ـ هو أنا .

سرت بينهم همهمة مبهورة ، تشف عن انفعالهم الشديد ، للجلوس فى حضرة رجل ، صنع جزءًا من أسطورة مدهشة ، ربما يتغنى العالم كله بها فيما بعد ..

أسطورة (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

كان هناك ألف سؤال ، يموج فى رأس كل رجل منهم ..

ألف سؤال يتمنون لو حصلوا على جواب واحد منها ..

ولو بكلمات موجزة ..

ولكن المدير حسم كل هذا ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ السيِّد (حسن) يحضر هذا الاجتماع ، باعتباره مستشارًا رسميًا للجهاز ، بعد أن أصدرت أمرًا بهذا منذ ساعة واحدة ، وفقًا لقانون المخابرات ، الذى يبيح الاستعانة بكل من يمكن أن يفيد ، بغض النظر عن العمر والحالة(*) ..

(*) صحيح .

غمغم أحدهم :

ـ إنه لمن دواعى فخرنا أن يكون ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ السيِّد (حسن) هنا أيضًا ؛ لأن (ن ـ 1) فى خطر .. وربما أكبر خطر واجهه فى حياته كلها ..

ولم تكن كلماته مبالغة ، بأى حال من الأحوال ..

(أدهم صبرى) بالفعل يواجه أكبر خطر ، فى حياته كلها ..

خطر استدرجته إليه خطة معقَّدة ، وضعتها أجهزة مخابرات أربع دول معًا .

واشتركت معهم منظمة (المافيا) كلها ، تحت قيادة زعيمتها الجديدة ..

دونا (كارولينا) ..

خطة بدأت بإثارة القلق حول (هشام) ، حفيد السيِّد (حسن) ، والذى يدرس للحصول على شهادة الدكتوراه ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، مما دفع السيِّد (حسن) لطلب المساعدة من (أدهم) بشأنه ..

وكرنيس لقسم التدريب ، وبعد موافقة المدير ، سافر (أدهم) فى رحلة تدريبية خاصة ..

أو هكذا بدت ..

ولكن رجال التحالف المخابراتى كانوا فى انتظاره ..

وليس وحدهم ..

بل مع أحدث وأقوى الأجهزة التكنولوجية ، فى العالم كله ..

(فرتيوليتى) .. جهاز كمبيوتر خاص جدًا ، تمت تغذيته بكل لمحة من لمحات حياته ، وكل تاريخه ، وكل ما فعله وأمكنهم تسجيله ، فى كل ملفاتهم ، منذ التقوا به أول مرة ، وحتى هذه اللحظة ..

و(ريد آى) .. جهاز شديد الحداثة والابتكار ، يعتمد على الأشعة دون الحمراء ، ويمكنه كشف تنكره ، مهما فعل أو حاول ..

وفى (باريس) ، بدأ الصراع ..

كان المفترض أن يرصدوه ويتابعوه فحسب ، حتى تحين لحظة الهجوم ..

ولكن (أدهم) أدرك ما يحدث ..

ذكاؤه ، وخبرته ، وموهبته ، كشفوا أن ما يدور من حوله ليس طبيعيًا ..

أبـدًا ..

وعلى الرغم من حصارهم الشديد له ، استطاع أن يوجّه إليهم الضربة الأولى فى المعركة ..

وقبل أن يستعيدوا وعيهم ، كان قد غادر (باريس) كلها ، إلى ساحة القتال الرئيسية ..

إلى الولايات المتحدة الأمريكية ..

وهناك ، فى (تشارلوزفيل) ، بولاية (فرجينيا) الأمريكية ، بدأ الهجوم ..

جيش من رجال دونا (كارولينا) حاصروا (هشام) فى منزل آمن ..

وانقض عليه ..

وبكل عنف وشراسة الدنيا ..

ولكن ذلك الجيش فوجئ بأنه يواجه ثعلبًا ..

ويقاتل أسدًا ..

فعلى الرغم من أنه رجل واحد ، مع تلميذ جديد فى مدرسة المخابرات ، فقد واجه ذلك الجيش ، وراوغه ، وأفلت منه ..

وكان قاب قوسين أو أدنى من النجاة ..

لولا تدخُل الأمريكيين بكل قوتهم ..

وجبـروتهم ..

وغطرستهم ..

وقـواتهـم ..

قوات (المارينز) ..

وأصبح (أدهم) ، عمليًا ، يواجه الدنيا كلها ..

المخابرات الأمريكية ، تحت قيادة الكولونيل (سميث لورين) ..

والمخابرات الروسية ، مع الجنرال (ماليكوف) ..

والمخابرات البريطانية ، وعلى رأسها سير (ويليام) ..

والإسرائيليين ، تحت توجيه رجل الموساد الشرس (راءول) ..

ورجال دونا (كارولينا) ..

وقوات (المـارينز) ..

ولقد حـارب ..

وحـارب ..

وقـاوم ..

وجاهد ..

ولكنهم حاصروه داخل بيت صغير من طابقين ، على حدود العاصمة (واشنطن) ..

وبات من الواضح أنها النهاية ..

نهاية الأسطورة ..

نهاية (رجل المستحيل) (*) ..

« لن نسمح بهذا بالتأكيد .. »

بكل صرامة وحزم وقوة الدنيا ، نطق مدير المخابرات العامـة المصرية العبارة ، وهو يدير عينيه مرة أخرى فى وجوه الرجال ، قبل أن يضيف باللهجة نفسها :

ـ سياستنا فى (مصر) لاتسعى للقتال دون مبرر مع الآخريـن ، ولكن أهم رجالنا فى خطر ، والكل يتضافر ضده ، ولن نقف مكتوفى الأيدى .

ثم أشار إلى (حسن) ، مردفًا :

ـ وتحت قيادة هذا الرجل ستقاتلون .

سأله (أحدهم) :

ـ من أجل (ن ـ 1) .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى .. (المدرب) ، و(الخطة) .. المغامرتين رقمى (157) و(158) .

شدَّ المدير قامته على مقعده ، فبدا أكثر مهابة وحزمًا وقوة ، وهو يجيب :

ـ بل من أجل (مصر) ..

وسرى فى أجسادهم وعروقهم شعور قوى ..

شعور بها ..

بـ (مصر) ..

وعبر هذا الشعور تساءل أحدهم :

ـ ولكن هل سيصمد (ن ـ 1) ، حتى نبدأ القتال ؟!.. نحن نتحدّث عن قارة أخرى ، لا سبيل لبلوغها قبل ثلاثين ساعة من الآن على الأقل ، وفقًا لجداول الطيران !

أجابه المدير حاسمًا :

ـ كل رجالنا هناك بدءوا تحركهم فعليًا .. وهذا يعلن انضمام طرف جديد للمعركة .. طرف يقاتل من أجل (ن ـ 1) .. من أجل (مصر) .

ومرة أخرى سرى ذلك الشعور القوى فى أعماقهم ، ودفع آخر إلى أن يقول :

ـ المهم أن يجدوه حيًا ، عندما يصلون إليه .

وفجَّر قوله فى حجرة الاجتماعات الخاصة ، على نحو أصاب الجميع بحالة من الصمت التام ..

صمت دفع قشعريرة عجيبة ، فى جسد السيِّد (حسن) نفسه ..

نعم ، هذا أكبر مخاوفه ، والسبب الذى جعله يظلّ صامتًا طيلة الاجتماع ..

فذلك السؤال يلتهب فى رأسه منذ البداية ..

هل سيفعلها (أدهم) هذه المرة أيضًا ؟!..

وهل سينقذ حفيده وينجو معه ؟!

هل ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

أشعلت (سونيا جراهام) واحدة من سجائرها الطويلة ، فى هدوء شديد واثق ، أقرب إلى البرود ، وهى تقف أمام المرآة ، فى زنزانتها الأنيقة ، فى ذلك السجن الخاص ، تعتنى بزينتها فى دقة ، على الرغم من أصوات القتال ودوى الرصاصات ، الذى يتناهى إليها من الخارج ..

كانت تتصرَّف كما لو أن الأمر لا يعنيها ، أو كأن ما تسمعه يرد إليها من شاشة التلفاز المسطحة الضخمة ، المعلَّقة على جدار زنزانتها ، حتى توقَّف دوى الرصاصات ، وتواصلت أصوات القتال بعض الوقت ، فتراقصت على طرفى شفتيها ابتسامة خفيفة ، تلاشت فى سرعة ، عندما اقتحمت (تيا) المكان ، وهى ترتدى زيًّا أشبه بأزياء الطيَّارين ، فقالت (سونيا) ، وهى تنظر إلى انعكاس صورتها فى المرآة ، دون أن تلتفت إليها :

ـ لماذا تأخَّرت ؟!

ارتفع حاجبا (تيا) فى شىء من الدهشة ، لم تلبث أن تلاشت خلف ابتسامة جذلة ، وهى تقول :

ـ كنت تعلمين أننى سآتى ؟!

أجابتها (سونيا) فى صرامة ، وهى تلتفت إليها ، وتلقى سيجارتها بامتداد يدها :

ـ هل تتصوَّرين أننى قد انتقيتك عبثًا ؟!

قالت (تيا) فى حذر :

ـ ولكننى الشخص الذى ...

قاطعتها (سونيا) ، وهى تتجه نحو الباب مباشرة :

ـ المصالح يا عزيزتى (تيا) .. مصلحة كل شخص هى الدافع والمحرك الأوّل لكل تصرفاته .. لقد وشيت بى ؛ لأنك تصورّت أن هذا فى صالحك ، والآن تطلقين سراحى ، وتواجهين الولايات المتحدة الأمريكيـة كلها لتحريرى أيضًا ؛ لأنك تتصورّين أن هذا فى صالحك .

غمغمت (تيا) فى تماسك :

ـ وفى صالحك أيضًا .

تجاوزتها (سونيا) ، وألقت عليها نظرة استهزاء سريعة ، وهى تقول :

ـ لو أنه فى صالحى وحدى ، لما حركت خنصرك من أجلى يا عزيزتى .

تركتها (تيا) تعبر باب الزنزانة ، ثم تبعتها ، قائلة :

ـ قلت : إنها مسألة مصالح ، فماذا يمنع أن تكون مصالحنا مشتركة ؟!.. حتى الدول تتعامل بهـذا الأسلوب .. أعداء الأمس قد يصبحون أصدقاء اليوم ؛ لأن مصالحهم تحتم هذا ، وربما يعودون أعداء فى الغد أيضًا ، لو دفعتهم مصالحهم إلى هذا .

قالت (سونيا) فى برود :

ـ بالضبط .

وواصلت طريقها عبر الممر الطويل ، غير مبالية بجثث رجال الحراسة الأمريكيين ، المتناثرة عبره .

كانت تتجاوزها ، أو تعبرها ، أو حتى تطأها بقدميها ، وهى تسير مرفوعة الرأس ، كما لو أنها ملكة فى موكب رسمى ..

ودون أن تلتفت إلى أحد من الرجال ، الذين خفضوا أسلحتهم لمرورها ، سألت (تيا) :

لحساب من تعملين هذه المرة ؟!

أجابتها (تيا) بسرعة :

ـ لحسابك أيتها الزعيمة .

كررت (سونيا) فى صرامة :

ـ لحساب من ؟!

صمتت (تيا) لحظة وهى تتبعها ، قبل أن تجيب :

ـ دونا (كارولينا) .

لم تكد تسمع الاسم ، حتى توقَّفت (سونيا) دفعة واحدة ، والتفتت إليها فى بطء ، قائلة :

ـ دونا (كارولينا) ؟!

أومـأت (تيا) برأسـها إيجابًا ، فانعقد حاجبا (سونيا) فـى شدة ، وانطلق عقلها يعمل كالصاروخ ، فى حين ابتسمت (تيا) من أعماقها ؛ لأنها ، وربمـا لأوّل مرة ، استطاعت أن تدهـش (سونيا) ، التى سألتها فجأة ، مكررة فى إصرار مدهش :

ـ لحساب من تعملين يا (تيا) ؟!

هذه المرة كانت الدهشة من نصيب (تيا) الحسناء .

ولم تستطع حتى أن تخفيها ..

لقد حدّقت فى وجه (سونيا) ، مغمغمة فى تردُّد :

ـ ماذا تعنين ؟! .. لقد أخبرتك .

مالت (سونيا) نحوها ، وقالت بمنتهى الصرامة :

ـ لقد أخبرتنى نصف الحقيقة .

غمغمت (تيا) ، فى ارتباك حقيقى :

ـ نصفها ؟!

أجابتها فى غلظة :

ـ ربما تعملين بالفعل لحساب دونـا (كارولينـا) ، ولكن هنـاك من دفعك إلى هذا .. فمن هو ؟!

استمر الارتباك واضحًا لحظات فى ملامح (تيا) ، على نحو أكّد لـ (سونيا) صحة استنتاجها ، قبل أن تقول الصينية الحسناء فى حزم :

ـ ألا يمكننا مناقشة هذا فى الهليوكوبتر ؟!.. المكان سيكتظ حتمًا بالقوات الأمريكية ، خلال دقائق !

تفرّستها (سونيا) بعينين صارمتين ، قبل أن تقول فى صرامة :

ـ فليكن .

أشـاحت عنهـا بوجههـا ، وعـادت تقطع باقى الممر فى سـرعة كبيرة ، حتى بلغت الهليوكوبتر ، التى ما زالـت محركاتهـا دائرة ، فوثبت فيها فى رشاقة ، قبل أن تلحق بها (تيا) مع رجالها ، وانطلقت الهليوكوبتر بالجميع على الفور ، لتبتعد عن الجزيرة بسـرعة كبيرة ، فمالت (سونيا) على (تيا) مرة أخرى ، متسائلة :

ـ مـن ؟!

صمتت (تيا) لحظات ، ثم قالت :

ـ إنهم يحررونك من أجل (أدهم) .

انعقد حاجبا (سونيا) فى شدة ، وهى تسأل :

- مـاذا عنـه ؟

أجابتها فى سرعة :

- يحاصرونه هناك .. عند مدخل (واشنطن) .

سألتها (سونيا) فى اقتضاب :

- كم رجلاً ؟!

أجابتها (تيا) بنفس السرعة :

- جيش .

وعنـدما تراجعـت (سونيـا) ، لتنظـر إليهـا مستنكرة ، أضـافت :

- جيش من (المارينز) .

وهنا بالفعل تفجرت دهشة عارمة فى نفس (سونيا) ..

الأمر خطير للغاية إذن ، حتى تدفع الولايات المتحدة الأمريكيـة بقوات (المارينز) فى المعركة ..

ولكن هذه الخطوة تعنى أن (أدهم) يواجه ما لم يواجهـه من قبل قط ..

وأن هذه المرة ستختلف ..

ولن تكتب له النجاة ..

أبـدًا .

★ ★ ★

2ـ رجـل وجيـش ..

لم يشعر قائد (المارينز) فى حياته كلها بالنشوة ، مثلما شعر بها فى تلك اللحظات ، بعد أن رصدت أجهزة الكشف الحرارى صورتى (أدهم) و(هشام) ، وحدّدت تحركاتهما داخل قبو ذلك المنزل ، على أطراف (واشنطن) ، وأشار إلى قواته ، قائلاً :

ـ لن نمنحهما فرصة واحدة للفرار هذه المرة .. هاجموا المنزل من كل جوانبه فى آن واحد .. سيبقى فريق منكم فى الخارج ؛ يمنع أية محاولة للخروج ، بأية وسيلة ، وفريق سيتجه نحو القبو مباشرة ، وفريق آخر سيحتل كل حجرات ومداخل ومخارج المنزل .. أطلقوا النار فور الاشتباه ...

قاطعه مسئول جهاز الكشف الحرارى ، قائلاً :

ـ سيّدى .. لقد غادرا القبو .

سأله فى لهفة :

ـ إلى أين ؟!

أجابه فى حزم :

ـ إلى مطبخ المنزل .

مال قائد (المارينز) ، يتابع ذلك الانعكاس الحرارى للرجلين ، الذين يتسللان من القبو إلى المطبخ ، وقال فى صرامة :

ـ هذا يجعل الأمور أكثر مباشرة .

ورفع فوهة مدفعه الآلى فى تحفز ، مستطردًا :

ـ وأكثر سهولة ..

ثم أعقب هذا برفع يده وفرد سبّابته ووسطاه ..

علامة الهجوم ..

وانقضت قوات (المارينز) ..

لم يكن يعلم أنه فى نفس اللحظة ، التى رصد فيها صورتى (أدهم) و(هشام) على الشاشة ، كان الأخير يتساءل فى توتر ، وهو يدلف إلى مطبخ المنزل :

ـ إنهم يحاصروننا تمامًا ، وبعدد هائل ، ولست أظن مطبخ المنزل يصلح كمكان للاختباء .

أجابه (أدهم) فى هدوء مدهش :

ـ بل للقتال .

حدّق (هشام) فيه بمنتهى الدهشة ، مغمغمًا :

- قتال ؟!.. هنا ؟!

أجابه (أدهم) ، وهـو يلتقط بعض سوائل التنظيف ، ويقرأ مكوّناتها المدوّنة على غلافها الخارجى فى اهتمام :

- المطابخ تحوى أسلحة أكثر مما تتصورّ .

سأله فى شىء من العصبية :

- فى منظفات الأطباق ؟!

التفت إليه (أدهم) ، يقول فى صرامة :

- ألم تتلق دراسات كافية ، فى علم الكيمياء :

ارتبك (هشام) وهو يجيب :

- دورة واحدة .

أجابه (أدهم) ، وهو يبدأ فى خلط المواد بعضها ببعض ، فى سرعة ودقة :

- كانت تكفى لتتعلّم أنه هنـاك تأثيرات عديدة ، لخلط المواد الكيماوية بعضها ببعض ، فهى أحياناً تمتزج فى سلام ، وأحياناً أخرى تتفاعل مع بعضها البعض ، وهذا قد يؤدى إلى اشتعال ، أو انفجار ، أو إلى سحب كثيفة من الدخان .

شعر (هشام) بوقع أقدام (المارينز) الثقيلة تقترب ، فمال فى حركة غريزية ، يحاول اتخاذ ساتر ما ، وهو يقول :

- وأنت تعتبر هذه أسلحة ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو يواصل خلط المواد ، وتعبئتها فى زجاجات صغيرة :

- لو أحسنت استغلالها .

لم ينبس (هشام) ببنت شفة هذه المرة ، فى حين انتقل (أدهم) فى سرعة إلى جهاز (الميكروويف) ، ووضع داخله بعض علب المياه الغازية المعدنية ، ثم راح يعدّه للتشغيل ، فهمّ (هشام) أن يهتف به إنه من بالغ الخطورة وضع أشياء معدنية ، داخل مثل هذه المواقد الإلكترونية ، ولكنه آثر الصمت ، عن ثقة فى أن (أدهم) يعرف حقًّا ويدرك ما يفعله ، فى حين أضاف (أدهم) زجاجتين من ذلك المزيج الذى صنعه ، ثم أغلق الموقد ، والتقط سكينًا ، ألقى به إلى (هشام) ، قائلاً :

- هذا سلاح واضح .

وفى نفس اللحظة ، بدأ الهجوم ..

رجال (المارينز) اقتحموا المنزل من ثلاثة اتجاهات مختلفة ..

وبمنتهى منتهى العنف ..

لقد أطلقوا النار على الباب الأمامى ..

والخلفى ..

والنوافذ ..

وحتى باب القبو ..

واقتحموا المكان من كل هذا فى آن واحد ..

من الباب الأمامى ، والخلفى ، وباب القبو ..

وكل النوافذ فى آن واحد ..

أكثر من أربعين رجلاً ، اقتحموا المكان دفعة واحدة ..

تمامًا مثلما فعل رجال دونا (كارولينا) فى تشارلوزفيل) ..

مع فارق واحد ..

لم يكن هناك نفق للهروب ..

وعلى الرغم منه ، سرت فى جسد (هشام) ارتجافة قوية ، جعلت الدم يرتعد بشدة فى عروقه ..

وكم أدهشه أن ظل (أدهم) هادئًا !

متماسكًا ..

قويًا ..

ودقيقًا أيضًا ..

ففى نفس لحظة اقتحام الرجال للمكان ، أطلق موقد (الميكروويف) أزيزًا قويًا ..

ثم انفجر ..

انفجر بدوى هائل عنيف ، انبعثت معه سحابة دخان هائلة فى المكان ..

وأخفى (هشام) جسده كله خلف ذلك الجزء ، الذى اختاره كساتر ..

ودوت رصاصات رجال (المارينز) كالسيل ..

وتحوّل المكان كله فى لحظة واحدة إلى جحيم ..

جحيم حقيقى ..

★ ★ ★

لم تستطع وزيرة الخارجية الأمريكية ، ومستشارة الأمن القومى السابقة ، أن ترفع عينيها عن وجه الرئيس ، الذى دلف إلى مكتبه فى حالة من التوتر الشديد ، وهو يسألها فى عصبية واضحة :

ـ حسنًا .. ما سبب العجلة هذه المرة ؟!

أجابته فى شىء من الصرامة ، لا يتفق مع موقعه وموقعها :

ـ إنهم يشنون الحرب هنا .

جلس خلف مكتبه ، وتطلّع إليها فى عصبية شديدة ، مكررًا :

ـ هنـا ؟!

أجابته بنفس اللهجة :

ـ نعم ، هنا .. على أطراف (واشنطن) العاصمة .

تراجع فى مقعـده بنفس تلك العصبية الشديدة ، وراح يفرك كفيـه ، علـى نحـو جعلـه يبدو أشبه بطفـل خـائب ، نسـى دفـتر واجباته ، متحاشيًا النظر المباشـر إليهـا ، فـى حين ركّزت هـى بصرها عليه مباشرة لحظات ، قبل أن تسأله :

ـ ما الذى أخبرك به هذا الإسرائيلى ؟!

أبعد بصره عنها أكثر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لا شىء .

قالت فى إصرار :

ـ أنت رئيس أكبر دولة فى العالم ، ولا ينبغى أن يسيطر عليك الإسرائيليون .

ارتجفت شفتاه ، وهو يجيب :

ـ إنهم لا يفعلون .

مالت نحوه بشدة ، قائلة فى شراسة مفاجئة :

ـ بل يفعلون .

ارتجف كيانـه كلـه هذه المرة ، وحـاول أن يتماسك أمامهـا ، إلا أن صوته بدا شديد العصبية والارتباك ، وهو يقول :

ـ أنت تتحدثين إلى زعيم العالم الجديد .

أرادها صارمة قوية ، ولكنها خرجت من بين شفتيه ـ على الرغم منه ـ أشبه بضراعة متوسلة ، زادت من شراستها ، وهى تقول :

ـ ولهذا لا ينبغى أن يخضع لدولة تابعة .

ثم أضافت بمنتهى الصرامة :

ـ مهما كانت الأسباب .

انكمش فى مقعده على نحو يثير الشفقة ، وأطلّت حيرة بلا حدود من عينيه ؛ مما جعلها تستدرك ، فى صرامة أشد :

- والتضحيات .

هزَّ رأسه فى يأس ، قائلاً :

- أنت لا تعرفين الإسرائيليين .

زمجرت ، قائلة :

- أعرفهم أكثر مما تعرفهم بالتأكيد .. على الأقل بحكم منصبى السابق ، والحالى أيضًا ، لقد نبشوا فى ماضيك ، وأنفقوا الملايين من أجل هذا ، حتى عثروا على ما تخجل من الإفصاح به ؛ ليضعوك تحت سيطرتهم .

زاغت عيناه ، وهو يقول :

- أنت لا تدركين ما كشفوه .. ستكون فضيحة هائلة .

زمجرت مرة أخرى ، قائلة :

- الفضيحة أهون من الهزيمة .

بدا أشد حيرة ، وهو يفكر لحظات ، ثم قال :

- كان حفلاً ، وكنا فى المرحلة الثانوية ، وأسرفنا فى الشراب ، وكان هناك ذلك الشاب العراقى ، و ....

قاطعته فى صرامة شديدة :

- أيًّا كان ما حدث .. نحن نتحدَّث عن مصير أمة .

رفع إليها عينين ضارعتين مرتبكتين ، على نحو لا يليق بزعيم أكبر دولة فى العالم ، وهو يقول :

- لن يمكننى هذا .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى انفعال ، وكأنما وجد مخرجًا :

- ثم إننا كنا نريد القضاء على ذلك المصرى بالفعل .. أليس كذلك ؟!

رمقته بنظرة أقرب إلى الازدراء ، وهى تقول :

- ليس بهذه الوسيلة .

وعادت تميل نحوه ، مضيفة :

- الإسرائيليون يدبرون أمرًا ما ، كما أخبرنا رجل مخابراتنا ؛ ولهذا نبشوا ماضيك ، ولهذا أيضًا يدفعوننا للدخول فى معارك داخلية ، تشغلنا عن هدفهم الأصلى ، والوسيلة الوحيدة لإفساد ما يفعلونه ، حتى تتكوَّن لدينا صورة واضحة عنه ، هى أن نتحرَّك عكس كل توقعاتهم .

غمغم فى مرارة :

- عندئذ سيفصحون عما كشفوه .

شدَّت قامتها ، قائلة فى صرامة :

ـ إلا إذا .

أطلّت كل اللهفة من عينيه ، وهو يتساءل :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

صمتت لحظة ، تفرست خلالها ملامحه جيدًا ، قبل أن تقول :

ـ إلا إذا لم يكن باستطاعتك اتخاذ أية قرارات .

ارتجف جسده فى توتر ، وسألها فى انفعال :

ـ وكيف هذا ؟!

أمسكت ثقّالة ورق سميكة ، وهى تقول ، فى لهجة أصابته بخوف شديد منها :

ـ ربما يؤلمك هذا قليلاً ، ولكنك ستفعله من أجل مصير أمة .

تراجع فى مقعده ، صائحًا :

ـ فيم تفكرين ؟!.. ماذا ستفعلين ؟!

وخارج المكتب البيضاوى ، سمع الحرّاس الخاصين صوت الرئيس يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

★ ★ ★

« الصراخ لن يفيد ... »

نطقها (أبل كوربوف) ، زعيم (المافيا) الروسية فى برود ، وهو يتناول ثمرة طازجة ، من فاكهة لا تتم زراعتها فى تلك المنطقة ، ولا فى (روسيا) كلها ، قبل أن يردف ، وهو يتطلّع إلى المأجور (بولانسكى) ، الذى أنهكه التعذيب المتصل :

ـ ستخبرنى ماهية هذا السلاح ، أو أواصل تعذيبك حتى الموت .

غمغم (بولانسكى) فى تهالك :

ـ ولكننى أجهل ماهيته .. إنه سلاح جديد تمامًا ، وهو شديد الضخامة ، و ...

« كاذب ... »

قاطعه (كوربوف) بتلك الصيحة الهادرة ، قبل أن يميل نحوه ، مستطردًا فى حدة غاضبة :

ـ ذلك الانفعال ، الذى ارتسم واضحًا على ملامحك ، يؤكد أنك تعرفته .. وأنا أجيد قراءة مشاعر الآخرين .

هزّ (بولانسكى) رأسه فى تهالك ، وقال :

ـ انفعالى كان بسبب أننى توقَّعت سلاحًا عاديًّا .. مدفعًا جديدًا ، قنبلة متطوّرة ، أو حتى شىء فى حجم دبابة كبيرة ، ولكـن ليس شيئًا هائل الحجم ، وبالغ التعقيد إلى هذا الحد .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ ربما لا تعلم كيف يعمل ، ولكنك تعلم ما الذى يؤدى إليه على الأقل .

هزَّ (بولانسكى) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ضعف :

ـ مطلقًا .

انعقد حاجبا (كوربوف) فى غضب هادر ، وأشار إلى رجاله ، فانهالت لكماتهم وضرباتهم وركلاتهم على (بولانسكى) فى قوة وشراسة ، حتى بدا وكأنـه سيفقد وعيه ، وربمـا حياتـه أيضًا ، فأشار إليهم (كوربـوف) أن يكفوا ، وتراجـع فى مقعده ، قـائلاً بمنتهى الغلظة :

ـ الزعيمة لم تنفق كل هـذه المليارات ، لإحضار هذا الشىء وبناء هذا المقر الرهيب ، دون طائل .. هذا السلاح له حتمًا قـوة هائلة ، أو تأثير شديد التدمير ..

صمت لحظة ، ثم اعتدل فى حدة ، مردفًا :

ـ والمفترض أن يتعرفه رجل عسكرى مثلك .

لـم يجب (بولانسكى) مباشرة ، مـع مـذاق الـدم العنيف فـى فمه ، وبصق بعضًا منه أمامه مباشرة ، قبل أن يجيب ، وهو يكاد يفقد وعيه بالفعل :

ـ لو أنه يشبه أى شىء أعرفه .

انعقد حاجبا (كوربوف) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ إذن فهو لا يشبه أى شىء تعرفه !

هزَّ (بولانسكى) رأسه ، بمنتهى الضعف والتهالك ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .

تراجع (كوربوف) ثانية فى مقعده ، وراح يحك ذقنه بسـبَّابته وإبهامه ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ، لم تعد بنا حاجة إليك .

سحب أحد رجاله مسدسه ، فور سماعه هذا ، وألصق فوهتـه بصدغ (بولانسكى) ، وهو يجذب إبرته ، ولكن هذا الأخير قـال فى توتر :

ـ لا ترتكب هذا الخطأ يا (كوربوف) .

هزَّ (كوربوف) كتفيه فى لا مبالاة، وقال :

- إننى أرتكبه مرة واحدة على الأقل، فى كل يوم .

قال (بولانسكى) فى سرعة :

- ولكن ليس مع ضابط مخابرات .

قال (كوربوف) مرة أخرى فى لا مبالاة :

- الرءوس كلها تتشابه .

قال (بولانسكى) :

- ولكن الأعداء يختلفون .

جذبت الكلمة انتباه (كوربوف) فى شدة، فأشار إلى رجله بالتمهُّل، فى حين واصل (بولانسكى)، كأمل أخير :

- قد يمكنك قتل ضابط شرطة، والتمثيل بجثته أيضًا، وقد يتجاهل الكل هذا، ويعتبرونه حادثًا عرضيًّا، حتى لايتعبوا أذهانهم، ولكن مع ضباط المخابرات، يختلف الأمر كثيرًا .

سأله (كوربوف)، فى اهتمام حقيقى :

- كيف ؟!

أجابه، وقد لمس بادرة أمل :

- لو أرقت قطرة واحدة، من دم رجل مخابرات، ستنقلب الدنيا كلها، وسيتم تجنيد كل القوى، لمواجهة هذا الأمر الخطير، وستجد الكل خلفك دون رحمة .. قوات الشرطة، والمخابرات، وحرس الحدود، وحتى الجيش نفسه .

انعقد حاجبا (كوربوف) فى توتر، وهو يقول :

- أنت تبالغ .

قال (بولانسكى)، فى صوت حاول أن يدس فيه بعض الصرامة :

- وأنت تهوِّن كثيرًا من شأننا .

تطلَّع إليه (كوربوف) فى شك، فأضاف :

- ألديك استعداد للمخاطرة ؟

زمجر (كوربوف)، قائلاً :

- لدى استعداد دائم لهذا .

ثم وثب من مقعده، ومال نحو (بولانسكى)، وجذبه من شعره؛ ليواجهه مباشرة، وهو يردف :

- وإلا ما وصلت لما أنا عليه .

نظر (بولانسكى) فى عينيه مباشرة، وهو يقول :

ـ (إيفان إيفانوفيتش) وصل إليه قبلك .

انتفض (كوربوف) ، عند سماعه اسم زعيم المافيـا السـابق ، الذى أقحم نفسه فى صراع مع (أدهم) ، فسحقه هذا الأخير سحقًا ، بعد صراع عنيف(*) ..

ومع نظرة الهلع ، التى أطلت من عينيه لحظة ، أدرك (بولانسكى) أنه أصاب هدفه ، فتابع فى سرعة :

ـ لن يحاسبك أحد على اختطافى ، أو حتى تعذيبى ؛ باعتبار أن هذا مجرد عمل ، أما القتل ..

لم يحاول الاستمرار ؛ باعتبار أن المعنى شديد الوضوح ، فعاد (كوربوف) يحك ذقنه عدة مرات ، ثم دار من حوله ، وسمع هو وقع قدميه خلفه ، قبل أن يعود للظهور أمامه ، قائلاً :

ـ ولكنك تعرف الآن كل شىء .

كانت هـذه ثغرة حقيقية ، يدركهـا (بولانسكى) جيدًا ، وتمنى ألا ينتبه إليها زعيم (المافيا) الروسية ..

ولكن هيهات ..

إنه يواجه وحشًا مفترسًا ..

(*) راجع قصة (فريق المستحيل) ... المغامرة رقم (132) .

وغريزة الوحوش تفوق أى ذكاء ..

على الإطلاق إنه بالفعل يعرف الآن كل شىء ..

يعرف أن (كوربوف) وراء كل هذا ..

وأن لديه سلاحًا رهيبًا ، يكفى وحده ليجعل صاحبه على قمة العالم ..

وفوق كل القوى .

كما يعلم أن هذا هو السبب ، الذى جاء من أجله الإسرائيلى (راءول) إلى هنا ..

إلى (سيبيريا) ..

وبأى منطق كان يستحيل أن يسمحوا له بالخروج حيًا ، مع كل هذه المعلومات الرهيبة ..

مستحيل !..

مستحيل !..

وألف مستحيل !..

وعلى الرغم من هذا ، فعليه أن يحاول ..

وربما محاولة الأخيرة ..

« ما أعرفه قد يفيدك بأكثر مما يضرك .. »

قالها كأمل أخير ، فسأله (كوربوف) ، وهو يلتقط المسدس من يد رجله :

ـ حقًا ؟!

أسرع (بولانسكى) يقول :

ـ إننا مستعدون تمامًا لشراء ما لديك .. وبأى ثمن تنشده ، ولدينا استعداد تام أيضًا ، فى حالة تعاونك ، لإصدار عفو شامل عنك ، يتيح لك ...

قاطعه (كوربوف) فى سخرية ، وهو يلصق فوهة المسدس الباردة ، فى مؤخرة رأسه :

ـ لم يتم إلقاء القبض علىَّ أبدًا ، ولست أحتاج أى عفو ، شامل أو محدود .

غمغم (بولانسكى) ، وقد بدأ اليأس يتملكه :

ـ وماذا عن المال ؟!

سأله (كوربوف) فى استهتار :

ـ وماذا يمكنكم عرضه بشأنه .

أجابه (بولانسكى) فى سرعة :

ـ ضعف ما عرضه الإسرائيليون .

انعقد حاجبا (كوربوف) ، وهو يقول :

ـ لقد عرضوا مليارين .

تفجرت دهشة حقيقية فى نفس (بولانسكى) ، وهو يهتف :

ـ مليارى دولار ؟!

كان هذا دليلاً جديدًا على فداحة الأمر وخطورته ..

وعلى أن خطة الإسرائيليين تفوق كل التوقعات ..

وكل الطموحات ..

وأنهم مستعدون لتحقيقها ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن على الإطلاق ..

« إننا مستعدون لدفع أربعة مليارات .. »

وازداد انعقاد حاجبى (كوربوف) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

أى ثمن هذا ، الذى يدفعه الجميع بلا تردُّد ؟!

لا ريب فى أنه ثمن سلاح خطير ..

وربما أخطر سلاح عرفه التاريخ ..

السلاح الذى سيجعل صاحبه على القمة ..

قمة العالم ..

وهذا يساوى آلاف الملايين ..

بل آلاف المليارات ..

أو أكثر من هذا ..

« لقد حسمت رأيى .. »

قالها (كوربوف) فى صرامة وحشية ، و ...

وأطلق النار .

★ ★ ★

3ـ النيـــران ..

على الرغم من الضجيج الهائل ، الذى ساد المنطقة بأكملها ، بدا رجل المخابرات البريطانى سير (ويليام) هادئًا ، إلى درجة البرود ، وهو يقتحم منطقة القتال ، مع مساعده جون ، قائلاً لقائد (المارينز) :

ـ أيوجد من يمكنه أن يشرح لى ، أية حماقة تلك التى ترتكبونها ؟!

احتقن وجه قائد (المارينز) من شدة الغضب ، وهو يصرخ فيه :

ـ من أنت يا صاحب اللكنة البريطانية العفنـة ، ومن سمح لـك بالدخول إلى هذه المنطقة المحظورة ؟

شعر (ويليام) بغضب هائل ، يشتعل فى أعماقه ، مع ذلك الأسلوب الفظ ، الـذى وصـف به قائد (المارينز) لكنته ، وهم (جون) بالاندفاع نحوه ، ولكن سير (ويليـام) استوقفه ، وهو يقول بنفس البرود ، الذى أضيفت إليه صرامة واثقة قوية :

ـ رئيسك سمح لى بهذا .

هتف به الرجل :

ـ مستحيل .. قائد (المارينز) يعلم جيدًا أننا ...

قاطعه (ويليام) فى صرامة :

ـ أعنى رئيسه أيضًا .

تساءل القائد فى حذر قلق :

ـ أتعنى وزير الدفاع ؟!

شدَّ (ويليام) قامته ، وهو يقول فى حزم شديد الصرامة :

ـ بل أعنى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

نطقها فى لهجة ، لم تترك لدى قائد (المارينز) ذرة من الشـك فى صدقه ، فانخفض صوته كثيرًا ، وهو يقول :

ـ وما الذى تريده من هنا ؟!

أجابه مشيرًا إلى المنزل ، حيث يدور القتال فى عنف :

ـ أن توقفوا هذه الحماقة .. فورًا .

صعق قائد (المارينز) بالأمر ، الذى أصدره (ويليام) بكل هذه الصرامة ، وحدَّق فى وجهه لحظات فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل !

سأله (جون) هذه المرة فى حدة :

ـ ولماذا مستحيل ؟!.. ألا يطيـع رجالك أوامرك ، عندما تـأمرهم بإيقاف قتال ما ؟!

قال القائد فى عصبية :

ـ وماذا عن الطرف الآخر .. هل سيطيع أوامرى أيضًا ؟!

قال (ويليام) فى سرعة :

ـ الطرف الآخر لا يرغب فى القتال .

سأله القائد معترضًا ، فى عصبية أكثر :

ـ ومن أدراك ؟!

زمجر (ويليام) ، قبل أن يجيب :

ـ لو أنك قرأت ملفه ، كما فعلت أنا لأدركت أنه لا يميل إلى القتل أو إراقة الدماء ، إلا لو حتمت الضرورة هذا ، وللدفاع عن حياته أو ما يؤمن به فحسب ، ولو توقف رجالك عن إطلاق النار ، فسيتوقف بدوره فورًا .

حدّق قائد (المارينز) فى وجهه ، كما لو أنه يتطلّع إلى مجنون ، وهتف مستنكرًا :

ـ هذا الذى تقول إنه يبغض القتال يقاتل وحده كجيش من الوحوش ، فكيف يمكنك إقناعى بما تقول ؟!

مرة أخرى همَّ (جون) بالتدخُّل ، ولكن (ويليام) سبقه ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ كنت أحاول أن أؤمن لك انسحابًا مشرفًا .

عاد حاجبا قائد (المارينز) ينعقدان ، وهو يقول متسائلاً ، فى استنكار أكثر :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟!

عقد سير (ويليام) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ سنرى .

لم يكد ينتهى من نطق كلمته ، أو ربما حتى قبل أن تكتمل ، دوى انفجار آخر أكثر عنفًا داخل ذلك المنزل ...

انفجار أطاح بجدار المطبخ كله تقريبًا ، وأطلق معه سحابة هائلة من الدخان العنيف ، الذى أصاب عيون الجميع بالالتهاب ..

ومن داخل المنزل ، راح رجال (المارينز) يندفعون خارجًا ، وبعضهم يحمل زميلاً ، أصابه الاختناق من الدخان ، أو لامسته بعض الشظايا ..

وبكل حنقه وغضبه ، صرخ فيهم القائد :

ـ لا تراجع أو استسلام .. عودوا إلى الداخل .. أريد هذا الشيطان .

صاح به أحدهم :

ـ الرؤية منعدمة تمامًا فى الداخل .. لا يمكنك أن تقاتل من لا تراه .

هتاف آخر :

ـ والبعض مصابون بالاختناقات أو الجروح ، ويحتـاجون إلى إسعاف عاجل .

ودون حتى إشارة من القائد ، اندفعت سيارة الإسعاف نحو المصابين ، وقفز منها المسعفون مع أجهزة التنفُّس ، وراحوا يسعفون المصابين ، وينقلون بعضهم إلى السيارة ، التى انطلقت بأقصى سرعتها ، والقائد يصرخ فى رجاله :

ـ لا تبتعدوا .. حاصروا المنزل .. سنرصد موقعهم عبر حرارة جسديهما ، وسنسحقهما سحقًا .

أسرع مسئول الرصد الحرارى يرصد كل ما بقى داخل المنزل ، ثم قال فى تردُّد ، وهو يشير إلى موقع المطبخ :

ـ مازالا هناك ، ولكن ..

هتف به القائد فى عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى شىء من القلق :

ـ يبدو أنهما قد فقدا الوعى .

أشار القائد إلى رجاله ، هاتفًا :

ـ هذا يمنحنا نقطة تفوق .. ارتدوا الأقنعة الواقية ، وأحضروهما يا رجال .

وبينما يندفع فريق من رجاله ، بأقنعته الواقية ، نحو المنزل ، التفت القائد فى شماتة إلى سير (ويليام) ، قائلاً :

ـ أظن أن الأمر قد انتهى هنا .

عقد سير (ويليام) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة ، مكررًا كلمته الاستفزازية :

ـ سنرى .

رمقه القائد بنظرة حاقدة ، ثم شدَّ قامته على نحو عسكرى محض ، والتفت إلى المنزل ، منتظرًا عودة رجاله ، دليلاً على نجاحه وانتصاره ..

ولم تمض لحظات ، حتى عاد الرجال بالفعل ..

ولم يكد يراهم ، حتى التفت القائد إلى سير (ويليام) مرة أخرى بنظرة شامتة ، خاصة وأن رجاله عادوا برجلين فاقدى الوعى ، فهتفت بهم :

ـ عظيم يا رجال .

هتف به أحدهم فى عصبية :

ـ ولكنهما ليسا من نبحث عنهما .

وقبل أن يسأله القائد عما يعنيه ، هتف ثانٍ :

ـ إنهما (ألبرت) و(كواليسكى) .

اتسعت عينا القائد فى ذهول غاضب مشتعل ، مع سماعه اسمى اثنين من رجاله ، والتفت بحركة حادة إلى سير (ويليام) ، الذى ابتسم هذه المرة فى شماتة متعمَّدة ، وهو يقول :

ـ لقد حذَّرتك .

أشعلت الكلمة غضب قائد (المارينز) ألف ألف مرة ، واحتقن وجهه حتى بدا أشبه بكتلة من الدم ، قبل أن يلتفت إلى رجاله ، صارخًا :

ـ ابحثوا عنهم فى أى مكان .

ابتسم سير (ويليام) فى سخرية ، وقال :

ـ لا فائدة .. رجالك بملابسهما الداخلية ، وهذا يعنى أن بعضهم ارتدى ثيابهما .

هتف القائد فى عصبية :

ـ أتعنى أنهما يندسَّان بين رجالى الآن ؟!

أشار (ويليام) بإبهامه خلف ظهره ، قائلاً :

ـ بل أعنى أنهما قد انصرفا من هنا ، تحت سمعكم وأبصاركم ، فى سيارة إسعاف ، انطلقت كالصاروخ .

اتسعت عينا القائد عن آخرهما ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وامتقع وجهه هذه المرة فى شدة ، وارتجفت شفتاه ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

لقد فعل (أدهم) ما لم يفعله أى مخلوق حى من قبل ..

لقد هزم وحده فرقة كاملة من قوات (المارينز) ..

هزمها تمامًا ..

* * *

« توقَّف .. »

نطق (أدهم) الكلمة بالإنجليزية ، وفى صرامة قاسية ، أدهشت سائق سيارة الإسعاف ، والمسعف الذى يجلس إلى جواره ، والذى أساء فهم الموقف كله ، فحاول أن يعيد (أدهم) إلى مقعده ، مغمغمًا :

ـ اهدأ يا رجل (المارينز) .. سنبذل قصارى جهدنا لإسعاف زميلك ، و...

نهض (هشام) فى هذه اللحظة ، ونزع قناع الأكسجين عن وجهه ، قائلاً :

ـ لا تقلق نفسك .. لست بحاجة إلى إسعاف فى الواقع .

هب المسعف من مكانه ، صارخًا :

ـ ولكن كيف ..

لم يستطع إتمام عبارته ؛ لأن قبضـة (أدهم) أخرسته بقنبلة مباشرة فى أسنانه ، طار معها جسده ، ليرتطم بمؤخرة صندوق السيارة ، ويسقط مرتطمًا ببعض الأدوات داخلها ..

ولم يكد السائق يرى ما حدث ، حتى ضغط فرامل السيارة بكل قوته ، ووثب منها ، وانطلق يعدو مبتعدًا ، وكأن وحوش الأرض تطارده ..

« مازلت لا أصدّق أنك قد فعلتها !!.. »

هتف (هشام) بالعبارة ، وهو يثب من مكانـه فـى انفعال شديد ، فأجابه (أدهم) فى حزم ، وهو ينزع عنه ثياب قوات (المارينز) فى سرعة :

ـ المهم أن تتعلّم الدرس .

وبدأ ينزع ثياب المسعف ، مستطردًا :

ـ هناك دومًا وسيلة ما .

قال (هشام) ، وهو عاجز عن كتمان انبهاره :

ـ ولكن ما فعلته ليس مجرّد وسيلة .. إنه معجزة .. لقد كنا محاصرين تمامًا ، بجيش من قوات (المارينز) ، التى يعتبرونها درة الجيوش الأمريكية ، ولم يكن معنا سلاح واحد ، وليست هناك وسيلة منطقية واحدة ؛ لخروجنا من هذا الموقف على قيد الحياة ، فما بالك بخروجنا ظافرين ، ودون خدش واحد .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يرتدى ثياب المسعف :

ـ هناك دومًا وسيلة .

هتف (هشام) بكل انفعاله :

ـ وسيلة مذهلة .

رمقه (أدهم) بنظرة جانبية ، وقال :

ـ هناك درس جديد ، ينبغى أن تتعلّمه .. أن تسيطر على انفعالاتك دومًا .. لا تنبهر بما تراه أو بما يحدث ، ولا تجعل الخوف يشل تفكيرك فى الوقت ذاته .. فعندما نخاف ، تنقطع الصلة فى أعماقنا بين المنطق والمواجهة الفعلية ، ولكن لو أمكنك السيطرة على أعصابك وانفعالاتك ، فسترى الصورة فى إطار مختلف ، ولأدركت أنه حتى الوحوش والعمالقة ، لهم نقطة ضعف دومًا ، وأن البقاء ليس أبدًا للأكثر قوة أو ضخامة ، وإلا لحكمت الديناصورات الأرض .

ومال نحوه ، وهو يشير إلى رأسه ، مستطردًا :

ـ القوة الحقيقية تكمن هنا .

أشار (هشام) إلى عضلات ذراعه ، وهو يقول فى خفوت :

ـ وماذا عن هنا ؟!

اعتدل (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

ـ لا نستطيع إهمال القوة ، ولكنها قـد تتحوَّل إلى محفِّز ضخـم للحماقة ، لو غاب عنها العقل .

حـاول (هشـام) أن يلقـى سؤالاً آخر ، ولكن (أدهم) قـاطع تفكيره ، وهو يتابع بلهجة آمرة :

ـ والآن ستكمل لعب دور جندى (المارينز) المصاب .

سأله فى لهفة :

ـ وماذا عنك ؟!

اتجه (أدهم) مباشرة إلى مقعد القيادة ، وهو يجيب :

ـ سـأقود .

وانطلق بسيارة الإسعاف ، وهو يطلق سارينتها ..

بمنتهى القوة ..

★ ★ ★

مررَّ الكولونيل (سميث) سبابته على الخريطة الكبيرة ، لشرق الولايات المتحدة ، والتى ظهرت على شاشة رقمية ضخمة ، فـى حجرة اجتماعات خاصة ، داخل مبنى المخابرات المركزية الأمريكيـة فى (واشنطن) العاصمة ، وهو يقول لرئيسه (مولر) فى توتـر ملحوظ :

ـ لقد انطلق بسيارة الإسعاف فى هذا الاتجاه ، وآخر ما بلغنا ، منذ عشر دقائق فحسب ، هو أنه قد استولى عليها ، مرتديًا زى (المارينز) مع زميله .

غمغم (مولر) فى سخط :

ـ لا يمكنهما أن يبتعدا كثيرًا ، فى هذا الزى .

التفت إليـه (سميث) ، فى شىء مـن الدهشـة ، قبـل أن يعتدل إلى الشاشة الرقمية ، قائلاً :

ـ سيتخلصان منه حتمًا ، عند أول فرصة .

مطَّ (مولر) شفتيه ، وكأنمـا لـم يرق لـه ألا ينتبـه إلـى نقطـة بسيطة كهذه ، أو لأن (سميث) قد نبهه إليها ، وقال فى عصبية :

ـ سيارة الإسعاف مسجلة ، ويمكننا تعقُّبها فى سهولة .

قال (سميث) ، وهو ينقر موضعًا من الشاشة الرقمية ، ودون أن يلتفت إليه هذه المرة :

ـ سيتخلصان منها أيضًا .

تضاعف حنق (مولر) ، وهو يهتف :

ـ أتريد أن تقول : إننا قد فقدنا أثرهما إلى الأبد ، بعد كل هذا ؟!

اعتدل (سميث) ، وهو يقول :

ـ ليس بعد .

تعاظم جزء من الخريطة ، مع نقـرات سبّابته ، ليمـلأ الشاشـة الرقمية كلها ، مع متابعته :

ـ النقطة التى استولى على سيارة الإسعاف منها ، تتوسّط هذه المساحة ، ولقد قمنا بتأمين كل الطرق المؤدية منها وإليها ، بإطلاق النار فور رؤيته .

راجع (مولر) الخريطة ببصره ، قبل أن يقول :

ـ أتعلم ما يعنيه هذا ؟!

أجابه فى اهتمام :

ـ مــاذا ؟!

قال (مولر) ، وهو يلوّح بيده فى حدة :

ـ يعنى أن خطة التحالف قد انهارت من أساسها .

صدمت العبارة (سميث) ، وجعلته يقول فى حدة مماثلة :

ـ ليس بهذه البساطة .

قال (مولر) ، وكأنه يتحداه :

ـ كانت الخطة تعتمد على ألا نهاجمه إلا فى اللحظة المناسبة ، وها هو ذا القتال يدور علانية ، بالقرب من البيت الأبيض نفسه .

قال (سميث) ، بنفس النبرة المتحدية :

ـ الخطـة تعتمـد على مهاجمتـه هنــا ، فى الولايـات المتحـدة ، وهذا ما حدث بالفعل .

قال (مولر) فى صرامة :

ـ قبل الموعد المتفق عليه .

تراجع (سميث) ، وتطلع إليـه فى شىء من الدهشة والاستنكار ، وهو يقول فى صرامة أكثر :

ـ معذرة يا مستر (مولر) ، ولكن فى أى جانب أنت .

هتف (مولر) فى سرعة :

ـ جانبنا بالطبع .

غمغم (سميث) :

ـ تصوّرت أنك مبهور بالخصم .

احتقن وجه (مولر) فى غضـب ، ولكنـه لم يحاول مواصلـة النقاش ، وإنما تجاوزه ، قائلاً فى شىء من الحدة :

ـ وهل تتوقَّع أن يكمل طريقه إلى (واشنطن) ، أم يبتعد عنها ؟!

صمت (سميث) تمامًا أمام هـذا السؤال ، وحدَّق فـى وجـه (مولر) لحظات ، وكأن هذا الأخير قد ألقى أصعب أسئلة الدنيا ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ سيكون أكثر أهل الأرض حماقة لو فعلها ، وهو يعلم أن كل شرطى فى (واشنطن) يبحث عنه .

غمغم (مولر) :

ـ لو أننى فى موضعه لاتجهت غربًا إلى (وست فرجينيا)(*).

سأله (سميث) ، فى اهتمام شديد :

ـ أهذا ما يبدو لك أكثر منطقية ؟!

أجابه (مولر) فى ثقة :

ـ بالطبع .

(*) (وست فرجينيا) : ولاية أمريكية ، تقع ما بين المحيط الأطلنطى والغرب الأوسط للولايات المتحدة الأمريكية ، تم انتزاعها من ولاية (فرجينيا) ، خلال الحرب الأهلية ، عام 1863م ، وهى واحدة من ولايتين ، أضيفتا بعد الحرب ، والأخرى هى ولاية (نيفادا) ، التى انتزعت من (ياهاو) .

اعتدل (سميث) ، قائلاً :

ـ إذن فلن يفعله .

شعر (مولر) وكأن العبارة صفعة قاسية ، هوت على وجهـه بمنتهى العنف ، وحدَّق فى (سميث) مستنكرًا ، على نحـو جعل هذا الأخير يقرأ ما يدور فى ذهنه ، فاستدرك فى سرعة :

ـ ملفه يقول : إنه يفعل دومًا ما لا يتوقعه الآخرون .

هتف (مولر) :

ـ أتعنى أنه سيكون من الحماقة ، حتـى يدخل (واشنطن) ، فى ظل هذه الظروف .

أشار (سميث) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وسيحاول استغلالها لصالحه أيضًا .

حدَّق (مولر) فى وجهه لحظات مستنكرًا ، قبل أن يهزَّ رأسه فى قوة ، هاتفًا فى غضب :

ـ لست أصدق ما تفكِّر فيه .

مال (سميث) نحوه مرة أخرى ، وقال فى حزم :

ـ سترى ..

نعم ، الجميع سيرون ..

سيرون ما لا يتوقعونه ..

قـط ..

★ ★ ★

استبدل (هشـام) ثياب المارينز فى سرعة ، بثياب المسعف الاحتياطية ، التى وجدها فى سيارة الإسعاف ، وهو يقول لـ (أدهم) :

ـ ليس من السهل أن نسير فى الشارع بهذه الملابس .

أجابه (أدهم) ، وهـو ينتقـى بعض أجهزة وأدوات الإسعاف من السيارة :

ـ فى (أمريكا) ، يمكنك أن ترتدى ما يحلو لـك ، ولن يسـألك مخلوق واحد عما تفعله .

قال (هشام) فى توتر :

ـ ولكن آخر ما نحتاج إليه هو لفت الانتباه ، فى موقعنا الحالى .

غمغم (أدهم) ، وهو يقفز خارج السيارة :

ـ أعلم هذا .

قفز (هشام) خلفه ، وتلفَّت حوله ، مغمغمًا :

ـ أظن أنه ينبغى أن نتحاشى رجال الشرطة ، فهم حتمًا يبحثون عنا ، فى هذه المنطقة ، على ضواحى واشنطن .

صمت (أدهم) لحظات مفكرًا ، قبل أن يغمغم :

ـ ربما لا .

لم يفهم (هشام) ما يعنيه ، فالتفت إليه متسائلاً :

ـ ربمـا لا ماذا ؟!

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً :

ـ النـاس هنـا تحب رجـال الشرطة وتحترمهم ، وهذا يدفعهم نفسيًا وغريزيًا إلى الثقة فيهم .

هزَّ (هشام) رأسه فى حيرة ، وقال :

ما زالت أجهل ما تقصده !

أشـار (أدهم) إلـى سيارة شرطة ، تقف على بعد مربعين سكنيين ، قائلاً :

ـ هل ترى هذه السيارة هناك ؟! ستتجه إليها مباشرة ، وتنفذ ما آمرك به بالضبط .

اتسعت عينا (هشام) وهو يقول :

ـ أنا ؟!.. هل تريد منى أن أتجه نحو سيارة شرطة ، يبحث راكبوها عنا حتمًا ، و ...

قاطعه (أدهم) بمنتهى الصرامة :

ـ وتنفذ ما سآمرك به .. فورًا ..

لم تمض لحظات على قوله هذا ، حتى كان (هشام) يندفع نحو سيارة الشرطة ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ النجدة .. أريد مساعدة .. لقد هاجمنا سارق ، وصديقى فاقد الوعى هناك .. النجدة .

غادر أحد الشرطيين فى السيارة مكانه فى سرعة ، وأشار إلى زميله بالبقاء ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ وأين هو ؟!

أسرع (هشام) يعدو إلى الناحية القريبة ، هاتفًا :

ـ هناك .

لحق به الشرطى الأول مسرعًا ، ويده تمسك مقبض مسدسه فى حذر ، فى حين بقى الثانى ليجرى اتصالاته ، وعيناه تراقبان زميله ، الذى اختفى هناك ، عند ناصية المبنى ، وغاب لعدة دقائق ، شعر أنها طالت أكثر مما ينبغى ، فضغط زر الاتصال بجهاز اللاسلكى المحدود ، المعلّق بحزام زميله ، متسائلاً :

ـ (كارل) .. أين أنت ؟!

أتاه صوتًا مشوّشًا ، يقول :

ـ هنا .. لا تقلق .. الأمر لا يحتاج حتى إلى إسعاف .. لقد عالجت كل شىء ، وأنا فى طريق العودة .

لم يرفع الشرطى الثانى بصره عن الناصية ، حتى لمح زميله يدور حولها ، عائدًا إليه ، و ...

ولكن مهلاً ..

إنه يبدو أطول قامة ، وأعرض كتفين ، وأشد قوة ..

وبحركة سريعة ، تدرّب عليها طويلاً ، وثب الشرطى من سيارته ، وسحب مسدسه ، يصوّبه إلى رأس القادم مباشرة ، والذى لم يعد يبعد عنه سوى أربعة أمتار فحسب ، وصاح فى صرامة عصبية :

ـ من أنت ؟!.. قف وإلا .

وقبل حتى أن يكمل صيحته ، كانت سبَّابته تضغط زناد مسدسه ، وفوهته مصوَّبه نحو رأس ذلك الذى ينتحل هيئة زميله ..

مباشرة .

★ ★ ★

4ـ بصفة رسمية ..

لم تستطع دونا (كارولينا) حتى أن تبتسم ، وهى تستقبل (سونيا جراهام) ، فى جناحها الفاخر ، فى ذلك الفندق الذى تمتلكه (المافيا) ، فى حى (منهاتن) ، أشهر أحياء ولاية (نيويورك) وأكثرها فخامة ، ولم تستطع حتى منع حركة شفتيها ، التى تشف عن الامتعاض ، وهى تقول :

ـ إذن فقد نجحت لعبتنا !

لم تحاول (سونيا) بدورها مصافحتها ، وهى تتخذ أفضل مقعد فى المكان ، وتشعل واحدة من سجائرها الرفيعة ، بقدَّحتها الذهبية الخاصة ، قائلة :

ـ لو أنك تعتبرينها مجرَّد لعبة .

نقلت (تيا) بصرها بينهما فى حذر ، قبل أن تقول :

ـ الحياة كلها مجرَّد لعبة كبيرة .

رمقتها (سونيا) بنظرة مقت جانبية ، قائلة :

ـ عجبًا !!.. كنت أظنها مجرَّد مسرح كبير ، كما قال شكسبير(*) .

(*) ويليام شكسبير : (1564 ـ 1616م) : أعظم الشعراء والكتاب الإنجليز ، ومن أبرز الشخصيات فى الأدب العالمى ، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق ، حكمه التى وضعها فى أعماله ، صارت أمثالاً معروفة ، ومن أشهر مسرحياته (هاملت) و(الملك لير) ، و(تاجر البندقية) ، و(حلم ليلة صيف) .

تراجعت (تيا) ، وبادلتها نظرة المقت ، قبل أن تقول فـى استهتار :

ـ أنت على حق .. لا ينبغى أن أدس أنفى فى شئون الكبار .

قالت (سونيا) فى صرامة :

ـ بالضبط .

بدت دونا (كارولينا) شديدة العصبية ، وهى تقول لـ (تيا) :

ـ اتركينا وحدنا .

ابتسمت (تيا) ابتسامة شبه ساخرة ، على نحو لم يرق للاثنتيـن ، قبل أن تنحنى على نحو مسرحى مستفز ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .. اسمحا لى .

انسحبت متراجعة إلى الخلف ، كما كـانوا يفعلون قديمًـا ، مع الملوك والأباطرة ، فغمغمت (سونيا) بعد انصرافها :

ـ حقيـرة .

تمتمت دونا فى عصبية ، وهى تشعل واحدة من سجائرها الملوّنة ، التى تحمل اسمها ، بحروف ذهبية :

ـ لقد أطلقت سراحك على الأقل .

التفتت إليها (سونيا) بحركة حادة ، قائلة :

ـ الأمريكيون كانوا سيفطونها ، آن عاجلاً أو آجلاً .

نفثت دونا دخان سيجارتها ، وهى تقول ، بنفس العصبية :

ـ أشك .

مالت (سونيا) نحوها ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهها ، قائلة فى لهجة أقرب إلى التحدّى :

ـ هذا لأنك تفهمين فى أعمال المنظمات ، بأكثر مما تعين طبيعة السياسة ومتغيراتها .

انعقد حاجبا دونا (كارولينا) ، وهى تقول فى صرامة :

ـ يبدو أنك نسيت أنك فى مقرى .

أشارت إليها (سونيا) ، قائلة :

ـ بإرادتك وليس بإرادتى .

قالت فى حدة :

ـ لو أردت ، لأمرت رجالى بقتلك فورًا .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، قائلة :

ـ ولكنك لن تفعلى .

ثم مالت نحوها أكثر ، حتى كادت تلتصق بها ، وهى تضيف :

ـ لأنك تحتاجين إلى .

رمقتها دونـا بنظـرة محنقـة ، وتوسـدت أريكـة أنيقـة فـى مواجهتها ، وهى تنفثت دخان سيجارتها الملوّنة ، قائلة :

هناك مثل يقول : لا يوجد من لا يمكن الاستغناء عنه ..

قالت (سونيا) بسرعة :

ـ بالضـبط .

ثم أضافت فى خبث :

ـ حتى أنت يا دونا .

انعقد حاجبا (كارولينا) فى حدة ، وهى تقول :

ـ الأمور عندما تختلف ؛ فهى سلسلة وراثية ، يستحيل أن تنفصم ، إلا مع نهر من الدم .. (المافيا) منذ الأزل مقسّمة إلى عائلات ، يحكم كل عائلة منها زعيم ، يدين له الكل بالطاعة والولاء ، ودومًا هناك زعيم للزعماء ، فى تسلسل قيادى لم ينفصم ، منذ بدايات القرن العشرين ، وهذا الزعيم هو الأب الروحى للمنظمة كلها .

قالت (سونيا) فى سخرية :

ـ إذن فأنت تلعبين الآن دور الأب الروحى .

شدّت (كارولينا) قامتها فى اعتداد ، وهى تقول :

ـ أنا الوحيدة الباقية ، من سلالة دون (كيرليونى) ، أعظم أب روحى عرفته (المافيا) فى تاريخها كله .

شعرت (سونيا) بالملل ، من استمرار هذا الحوار ، فقالت فى صرامة ، لتحويل دفة الحديث إلى اتجاه عملى :

ـ لست أظنك قد بذلت كل هذا الجهد الجهد لإطلاق سراحى ؛ لنتحدّث معًا عن تاريخ عائلتك فحسب !

لم يرق هذا الأسلوب لدونا ، التى اعتادت الزعامة والمهابة ، فقالت فى صرامة :

ـ لقد أحضرتك هنا من أجل (أدهم) .

اعتدلت (سونيا) فى اهتمام ، متسائلة ، ونبرة القلق تفصح عن نفسها فى صوتها الناعم :

ـ ماذا عنه ؟!

سألتها دونا بلهجة الزعامة .

أخبرينى أولاً : أأنت إلى جانبه ، أم تقفين فى وجهه ؟!

كـان سؤالاً حاسمًا مباشرًا ، أدركت (سونيا) أنــه سـيحدِّد مصيرها تمامًا ، فى هذه اللحظة ..

وكان عليها أن تستنبط فى أى اتجاه تنطلـق دونـا (كارولينـا) ومنظمتها ..

مع (أدهم) ..

أم ضده ؟!..

هذا هو السؤال ..

العسير ..

للغـاية ..

★ ★ ★

قبل أن تكتمل ضغطة ذلك الشرطى فى (واشنطن) ، على زناد مسدسه ، وربما لجزء من الثانية ، سمع صوتًا من خلفه ، يقول فى هدوء :

ـ هل ستطلق النار على زميل ؟!

استدار الشرطى فى سرعة ؛ ليواجه ذلك القادم ، ولكنه فوجئ بـه على قيد خطوة واحدة منه ، ورأى قبضته تندفع نحو فكه كالقنبلة ..

وكان هذا آخر ما رآه ..

فقد أظلمت الدنيا بعدها بالنسبة إليه تمامًا ..

وفـى توتـر شديد ، خلع (هشام) قبعـة رجل الشرطة التــى يرتديها ، وقال :

ـ تصورْت لحظة أنه ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ ينبغى أن تتروَّى .

قال (هشام) :

ـ أتحدث عن لحظة ..

أجابه (أدهم) ، وهو ينزع ثياب الشرطى ، ويرتديها فى سرعة :

ـ العالم كله يمكن أن يتغير فى لحظة واحدة .

راقبـه (هشـام) بضـع لحظـات فـى صمـت ، وهـو يرتـدى زى الشرطى ، ثم غمغم فى ضيق :

ـ أشعر معك وكأننى مجرَّد طالب صغير .

أجابه (أدهم) ، وهو يدس مسدس الشرطى فى جرابه :

ـ أنت كذلك بالفعل .

انعقد حاجبا (هشام) لحظة فى ضيق ، فأكمل (أدهم) فى صرامة :

- وإلا ما كان هناك سبب لوجودى هنا ، ومواجهتى لكل هذه المخاطرة .

حدّق فيه (هشام) لحظة فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

- أنت على حق .

أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

- والآن هيا إلى السيارة ، لابد وأن نتحرك فورًا ، فكل دقيقة لها ثمنها ، من الآن فصاعدًا .

دلف (هشام) إلى السيارة ، و(أدهم) يدير محركها ، وقال :

- أنت على حـق .. لابد وأن نبتعـد عـن (واشنطن) بقدر استطاعتنا .

أجابه (أدهم) ، وهو ينطلق .. بالسيارة :

- خطأ .. سندخل إلى قلب (واشنطن) .

هتف (هشام) فى انزعاج :

- وأنت تعلم أن كل رجل أمن فيها يبحث عنا .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يغوص بسيارة الشرطة ، فى عمق العاصمة الأمريكية :

- لن يمكننا الفرار إلى الأبد ، وكل القوى تطاردنا على هذا النحو ، ثم إن موقف الإسرائيليين من اللعبة كلها يثير حيرتى بشدة ، ويطـرح فى أعماقى ألف سؤال وسؤال .

غمغم (هشام) فى حذر وتوتر :

- لـذا ...

أجابه بمنتهى الحزم والحسم :

- لذا ، فسأنتقل من مرحلة الفرار ، إلى مبدأ (نابليون) (*) .

ردّد (هشام) فى حذر :

- (نابليون بونابرت) ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وأجاب :

- نعم ، سننتقل إلى خير وسيلة للدفاع .

وحملت كلماته كل حسم الدنيا ، وهو يضيف :

- إلى الهجوم .

(*) نابليون بونابرت : (1769 ـ 1821م) : إمبراطور (فرنسا) (1804م) ، وقائد الحملة الفرنسية على (مصر) (1798 ـ 1801م) ، ولد فى جزيرة (كورسيكا) ، وصعد مع قيام الثورة الفرنسية (1789م) ، وسطع نجمه ، حتى توّج نفسه إمبراطورًا على (فرنسا) ، ولكنه هزم ونفى إلى جزيرة (سانت هيلانة) ، حيث مات ودفن .

وواصلت السيارة انطلاقها ، فى قلب (واشنطن) ..

فى قلب الخطر ..

* * *

« مستحيل !.. »

هتف (راعول) بالكلمة فى انزعاج حقيقى ، وهو يحدّق فى وجه (سميث) ، قبل أن يستطرد فى توتر :

ـ (سونيا جراهام) نجحت فى الفرار من سجنكم الحصين ؟!

انعقد حاجبا (سميث) ، وهو يقول فى غضب :

ـ أهذا كل ما أثار انزعاجك ، من كل ما أخبرتك به .. قلت لك : إن (أدهم صبرى) خرج سالمًا ، من قتاله مع قوات (المارينز) ، فخر الجيوش الأمريكية ، وأن هناك احتمالاً كبيرًا أن يكون هنا ، فى (واشنطن) ، وربما على مسافة كيلومتر واحد من البيت الأبيض ، أو فى شارع (بنسلفانيا) نفسه(*) ، وأن أحد رجال المخابرات السوفيتية ، الذى يتعاون مع الجنرال (ماليكوف) قد اختفى تمامًا فى قلب (سيبيريا) ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر ، فتبدى انزعاجك الشديد من فرار (سونيا جراهام) !

(*) يوجد المبنى الرئيسى للمباحث الفيدرالية الأمريكية فى (واشنطن) ، فى شارع (بنسلفانيا) ، أحد أكبر شوارع العاصمة .

سأله (راعول) فى صرامة :

ـ ألا يزعجك هذا بشدة ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ بلى ، ولكن بترتيب الأولويات ...

قاطعه فى حدة :

ـ بترتيب الأولويات ، ينبغى أن يكون فرارها على المقدّمة .

سأله (سميث) فى دهشة :

ـ ولمـاذا ؟!

نعم ، لمـاذا ؟!..

هذا هو السؤال ، الذى يستحيل أن يجيب عنه (راعول) فى صراحة ووضوح :

ففرار (سونيا) كان الشىء الوحيد ، الذى لم يضعه فى اعتباره قط ..

لقد طلب من (تيا) أن تغرى دونا (كارولينا) بمحاولة تهريبها ؛ لثقته الشديدة فى مناعة سجنها ، وفى أن محاولة الفرار ستؤدى إلى مقتل (سونيا) ، و(تيا) ، وربما تدمير دونا ومنظمتها أيضًا ..

حتى (فرتيواليتى) أكَّد أن هذا هو الاحتمال الأعظم ..

ولكن الكمبيوتر العملاق أخطأ هذه المرة ..

ربمـا لأن (راءول) لم يكن يعرف الإمكانيات الحقيقيـة لدونـا (كارولينا) ..

أو لـ (تيا) ..

أو لأن هناك جهة أخرى ساعدتهما على تجاوز كل العقبات ..

جهة أمريكية ..

وربما رسمية أيضًا ..

ربمـا ..

« لم تخبرنى لمـاذا ؟!.. »

كرَّر (سميث) سؤاله فى إلحاح ..

ومرة أخرى ، حدَّق فيه (راءول) فى صمت ..

هروب (سونيا) يمثل الخطر ، الذى حاول تحاشيه بدفعها إلى محاولة ، ستؤدى حتمًا ، وكما أكَّد (فرتيواليتى) إلى قتلها ..

هروبها يعنى أن تحاول استعادة قوتها ..

ومكانتها ..

وسلاحها ..

سلاحها الذى لو أكملت معادلته الناقصـة ؛ لأصبحت بوساطته سيِّدة العالم أجمع ..

وهذا ما لا يمكن أن يسمح به ..

أو تسمح به (إسرائيل) ..

فلو أنه هناك زعيمة جديدة للعالم ، فهى (إسرائيل) ..

أو لا أحد ..

« هل سأنتظر دهرًا ؟!.. »

قالها (سميث) بنفـاد صبر واضح ، جعل (راءول) يقول فـى سرعة :

ـ (أدهم) .

غمغم (سميث) فى دهشة :

ـ أحدثك عن (سونيا) .

قال (راءول) فى حدة :

ـ هروبها يعنى قوة إضافية له .

هتف (سميث) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ (سونيا) ؟!.. معلوماتنا تقول : إنها مستعدة لقتل (أدهم صبرى) فى أية لحظة ، لو أتيح لها هذا .

زمجر (راعول) ، قائلاً :

ـ اعملوا على تصحيح معلوماتكم إذن ، فالعلاقة بين (سونيا) و(أدهم) أعقد من أن يحتويها ملف واحد .. إنها تبغضه كل البغض ؛ فقط لأنه الرجل الوحيد ، الذى تصدّى لها وتفوّق عليها ، وهى غارقة فى حبه حتى النخاع للسبب نفسه .

ردّد (سميث) فى دهشة مستنكرة :

ـ تبغضه وتحبه .

أومأ (راعول) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ربما تضع آلاف الخطط للقضاء عليه ، ولكنها تفاجئك بإنقاذه فى اللحظة الأخيرة ، مما يوحى بأنها لم تحسم رأيها بشأنه فى داخلها بعد ، لم تقررّ فى أعماقها ما إذا كانت ترغب فى التخلص منه ، باعتباره ألد خصومها ، أم تسعى لاستعادته ، كوالد ابنها الوحيد .

هزّ (سميث) رأسه ، قائلاً :

ـ زواجهما لا يعنى أنها من الممكن أن ...

قاطعه (راعول) فى انفعال :

ـ ربما كان هذا من سيمتكم أيها الغربيون ، ولكن (سونيا) مثلى .. يهودية نصف شرقية ، مما يعنى أن نصفها على الأقل يتمتع بمشاعر جيّاشة دافئة ، وأمثالنا لا يمكنك التنبؤ بردود أفعالهم قط .

تطلّع إليه (سميث) طويلاً فى إمعان ، وهو يغمغم :

ـ أمثالكما ؟!..

صمت لحظات ، وكأنما يدرس فى ذهنه أمرًا ما ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن .. رئيسى (موريس مولر) يتولى أمر (سونيا) شخصيًا ، أما هنا ، فوفقًا لخطة التحالف ، نحن خلف (أدهم) .

قال (راعول) فى توتر :

ـ أخبرتك أنه لا فارق .

أجاب (سميث) فى صرامة :

ـ أخبرتنا أمورًا عديدة ، لم يتحقّق معظمها يا أدون (راعول) .. أخبرنى الآن ، ماذا يقول (فراتيوالبيتى) ، بشأن ما نواجهه الآن .

وانعقد حاجبا (راعول) فى شدة ..

نعم ، ربما يكون هذا هو الحل ..

ماذا يقول (فرتيواليتى) ، فى هذا الشأن ؟!..

مـاذا ؟!..

★ ★ ★

لم يبد الجنرال (ماليكوف) فى حياته كلها عصبيًا غاضبًا ، مثلما بدا فى تلك اللحظة ، وهو يواجه (أبل كوربوف) فى مكتبـه ، فى مبنى المخابرات الروسية ، قائلاً :

ـ لم أتصور أن تبلغ بك الوقاحـة حد القدوم إلى هنـا بنفسك يا (كولوف) .

ابتسم (كوربوف) فى استهتار ساخر متزلف ، وهو يقول :

ـ (كوربوف) يا سيّدى الجنرال .. (كوربوف) .. لقد استبدلت الاسم رسميًا ، وأحمل شهادة من المحكمة العليا بهذا .

زمجر (ماليكوف) ، قائلاً :

ـ هل تصورّت أن هذا سيمحو سجل جرائمك الحافل ؟!

هزّ (كوربوف) رأسه فى هدوء ، قائلاً :

ـ الدولة يحق لها أن تضع ملفى فى أى حجم تشاء ، ولكن تذكّر يا جنرال أنه لايحوى إدانة واحدة .

أجابه (ماليكوف) فى غضب :

ـ لأنك تلقى التهمة دومًا على أحد رجالك ، وتنجو منها كالجبناء .

اعتدل (كوربوف) ، وهو يقول فى برود حاسم :

ـ أيًا كان رأيك ، فلست هنا لمناقشة ملفى .

تراجع (ماليكوف) فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أنت على حق .. أين رجلنا يا (كوربوف) ؟

لوّح (كوربوف) بيده ، قائلاً :

ـ لم أسمع عنه شيئًا ، ولست هنا بشأنه أيضًا .

ضرب (مـاليكوف) سطح مكتبـه براحتـه ، وهو يميل نحوه بحركة حادة ، قائلاً :

ـ لمـاذا أتيت إذن ؟!

أجاب (كوربوف) فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر السؤال :

ـ بشأن عقد صفقة .

سأله فى حدة :

ـ أى نوع من الصفقات ؟!

لوّح (كوربوف) بيده مرة أخرى ، قائلاً :

ـ من النوع البسيط المباشر .

ومال بدوره نحو الجنرال ، مضيفًا :

ـ عندى سلاح جديد ، يكفل لمن يمتلكه أن يصبح سيدً العالم بلامنازع ، ولقد تلقيت عرضًا بشأنه ، وتصورت أنه يهمكم دخول المزاد .

ازداد انعقاد حاجبى (ماليكوف) الكثين ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ أى نوع من الأسلحة ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ أخبرتك أنه نوع جديد ، لا مثيل سابق له ، وسيمكنك أن تراه بنفسك ، إذا راق لى العرض .

ثم أشار بسبابته ، مستدركًا :

ـ ولن أحصل على النقود ، إلا بعد تيقنك من قوته .

صمت (ماليكوف) لحظات ، يدير الأمر فى رأسه ..

زعيم (المافيا) الروسية لايتحدث عن أمر بسيط هذه المرة ..

بل عن سلاح ..

سلاح جديد ، يمكن لمن يمتلكه أن يحكم العالم ..

وهو يعرض بضاعته ..

ويطلب الثمن ..

وهناك احتمال أن يكون محقًا ..

احتمال ضئيل ..

ولكن ...

« وكم تطلب ثمنًا لذلك السلاح ؟!.. »

ألقى الجنرال سؤاله فى عصبية ، فتألّقت عينا (كوربوف) ، وهو يجيب :

ـ آخر عرض تلقيته بشأنه ، كان أربعة مليارات دولار .

ارتفع حاجبا (ماليكوف) فى دهشة بالغة ، من هول المبلغ ، ولكن ضوءًا شديد الاحمرار أضاء فى عقله ، وفى كيانه كله ..

لو أن أحدهم عرض عليه هذا المبلغ الهائل ، فهو يتحدّث عن شىء يستحق بالفعل ..

شىء يمكن لصاحبه أن يسيطر على العالم ..

على حد قوله ..

وفى حذر شديد ، وعصبية أشد ، سأله :

ـ أهذا ما عرضه عليك الإسرائيليون ؟!

هزّ (كوربوف) كتفيه ، وقال فى حذر :

ـ أعترف أنهم دخلوا المزاد .

سأله (ماليكوف) مباشرة :

ـ وماذا تطلب ثمنًا له ؟!

تألّقت عينا (كوربوف) أكثر ، وهو يقول :

ـ خمسة .. خمسة مليارات ..

وانعقد حاجبا (ماليكوف) أكثر وأكثر ..

إذن فهذا ما يسعى إليه الإسرائيليون طوال الوقت ..

وهذا ما جاءوا من أجله إلى (سيبيريا) ..

أن يحكموا العالم كله ..

ويسيطروا عليه ..

تمامًا ..

« لابد من استشارة الرئيس شخصيًا ، عندما يتعلّق الأمر بمبلغ كهذا .. »

نطقها الجنرال (ماليكوف) ، بصوت أشبه بالزمجرة ، وعلى نحو جعل عينى (كوربوف) تتألقان بشدة ، وهو يقول فى لهفة لم يستطع إخفاءها :

ـ إذن فستدخلون المزاد .

زمجر (ماليكوف) مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا مزاد .. هذا السلاح سيكون لنا ، أو لن يكون لأحد آخر .

نهض (كوربوف) ، دون أن يفقد تألّق عينيه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا جنرال بالتأكيد .

لم تمض لحظات على قوله هذا ، حتى كان يغادر مبنى المخابرات الروسية (FSK) ، فى مجمع (الكريملين) (*) ، ويدلف إلى تلك السيارة السوداء الفارهة ، التى تنتظره أسفل لافتة كبيرة ، تحظر انتظار السيارات ، وقال للسائق فى شىء من الجذل :

ـ انطلق .

(★) الكريملين : مقر الحكم فى الاتحاد السوفيتى القديم ، و(روسيا) الحديثة ، كان أحد قصور الإمبراطورية الروسية ، حتى قيام الثورة البلشفية (1917م) ، وبعدها سقط فى قبضة الثوار ، وهو يضم مقر الحزب ، والحكومة ، وجهاز المخابرات السوفيتى سابقًا ، والروسى حاليًا .

سأله مساعده (جوركى) ، الذى يجلس إلى جواره ، فى اهتمام شديد :

ـ تبدو جذلاً أيها الزعيم .. هل تحققت مما أتيت من أجله ؟!

أجابه (كوربوف) ، وهو يسترخى فى مقعده ، ويسبل جفنيه فى ارتياح :

ـ بكل تأكيد .. الروس أيضًا سيدخلون المزاد ، وتقدّموا بعرض يبلغ خمسة مليارات .

هتف (جوركى) فى انبهار :

ـ إنها صفقة رابحة بالتأكيد .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ ستكون أكبر حماقة فى الدنيا أن نقبلها .

قال (جوركى) فى دهشة شديدة :

ـ تتحدّث عن خمسة مليارات من الدولارات الأمريكية يا زعيمى .. ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!

التفت إليه (كوربوف) فى شراسة ، هاتفًا :

ـ أتعلم أنت مايعنيه امتلاك سلاح كهذا ؟!.. أن تحكم العالم كلـه .. أتدرك كم من المليارات سيدرها علينا هذا ؟!

واتسعت عينا (جوركى) عن آخرهما ..

نعم ، إنه لم يكن يدرك ما يعنيه هذا ...

لم يكن يدركه أبدًا ..

* * *

« أخبرنى .. أأنـا واهـم ، أم أن ما نقـف أمامـه هو بالفعل ما أتصوّره ؟!.. »

نطق (هشام) العبارة فى خفوت متردّد ، وكأنـه لا يصدّق نفسه ، فقال (أدهم) فى حزم :

ـ بل هو بالفعل ما تتصوّره .. إننا أمام السفارة الإسرائيلية فى (واشنطن) .

سأله (هشام) ، فى توتر خافت :

ـ وهل سنراقب السفارة الإسرائيلية ، فى سيارة شرطة أمريكية ، يمكن أن ينكشف أمرها فى أية لحظة .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ سنترك السيارة الآن ، وعليك أن تترجّل ، وتسير فى الطرقات ، باعتبارك رجل شرطة ، فى دورية منفردة .

قال (هشام) فى توتر :

ـ رجال الشرطة هنا لا يسيرون فرادى قط .. كل دورية تتكوَّن من اثنين حتمًا .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يغادر السيارة :

ـ جد تبريرًا .

وقبل أن ينبس (هشام) ببنت شفة ، أردف :

ـ اعتبره جزءًا من تدريبك .

أطبــق (هشــام) شــفتيه لحظــة ، ثم لم يتمالــك نفســه أن يسأله :

ـ وماذا عنك ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ سأذهب لزيارتهم .

وعلى الرغـم من معرفتـه الجواب ، غمغـم (هشـام) بأنفـاس مبهورة :

ـ من ؟!

أشار (أدهم) إلى مبنى السفارة ، مجيبًا :

ـ الإسرائيليين .

قالها ، واتجه بخطوات ثابتة قوية نحو سفارتهم ..

نحو بيت الذئاب ..

مباشرة .

★ ★ ★

5ـ الذئـــاب ..

« سينتحل هيئة رسمية .. »

قال رئيس (راءول) العبارة فى اهتمام متوتر ، بدا واضحًا على صورته ، التى تملأ شاشة الاتصال الكبيرة ، فى الحجرة الخاصة بالسفارة الإسرائيلية فى (واشنطن) ، فمال (راءول) نحو الشاشة ، متسائلاً :

ـ أهذا ما حدده (فرتيواليتى) ؟!

أجابه رئيسه :

ـ نعم ، لقد غذيناه بكل المعلومات الجديدة التى أرسلتها ، فقال : إن الوسيلة الوحيدة ، التى تتيح لـ (أدهم صبرى) دخول (واشنطن) ، فى مثل هذه الظروف ، هى أن يتنكَّر فى هيئة رسمية .. رجل أمن أو شرطى .

سأله (راءول) فى لهفة :

ـ وماذا عن (سونيا) ؟!

أجابه رئيسه ، فى توتر ملحوظ :

ـ (فرتيواليتى) وضع سيناريوهين مختلفين للأمر .. فى الأول افترض تمرُّدها على دونا (كارولينا) ، وسعيها وحدها لاستعادة سلاحها ، باعتبار أنه وسيلتها المثلى للسيطرة على العالم ، كما تحلم دومًا ، وسيبدأ هذا بمحاولتها الحصول على المعادلة الناقصة ، لتشغيل ذلك السلاح ، تمامًا مثلما نسعى نحن للحصول عليها .

سأله (راءول) بنفاد صبر :

ـ وماذا عن السيناريو الآخر ؟!

صمت رئيسه لحظة ، ثم قال :

ـ أن تتحالف مع دونا (كارولينا) ، حتى تبلغ هدفها .

تراجع (راءول) فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ ستكون كارثة !

انطلق عقله بسرعة يرسم صورة لما يمكن أن يسفر عنه هذا ..

أن تتحالف (سونيا) ودونا ..

أخطر امرأتين فى العالم ، تدخلان السباق كيد واحدة ..

(سونيا) بدهائها وخبرتها وقسوتها ، ودونا بقوتها وانتشارها ، وأموالها الطائلة ونفوذها اللامحدود ..

ولو وضعا كل هذا فى بوتقة واحدة ، لاستعادة ذلك السلاح الجبار ، قبل أن يحصل عليه الآخرون .

ربما تحكمان العالم عندئذ ..

إلى الأبد ..

حاول أن يركِّز ذهنه على هذه المشكلة الجديدة ، واعتصر عقله فى قوة ، ولكن تفكيره قاده دون وعى إلى (أدهم) ..

لقد فعل بالضبط كل ما توقَّعه (فرتيواليتى) ، حتى هذه اللحظة ..

(كارولينا) أفسدت التحالف ، ودفعته للدخول فى مواجهة مباشرة ، حقَّق خلالها ما اعتاده ، وهزم الجميع على نحو مبهر ، وتجاوز كل العقبات ، حتى وصل إلى (واشنطن) ، وجذب انتباه كل القوى إليه ..

وهذا هو الهدف الرئيسى من كل هذا ..

إقحام الجميع فى معركة ضد (أدهم) ، وسعيهم للقضاء عليه ، ومقاومته الرهيبة لهم ، وتجاوزه عقباتهم ، وكل ما سيشعله هذا فى نفوسهم من غضب وثورة ، يدفعانهم لمزيد من القتال معه ؛ مما يجعلهم ينشغلون جميعًا به ، فيخلو الجو للإسرائيليين ؛ ليسعوا خلف سلاح (سونيا) الرهيب ، فى غفلة منهم ، بحيث لا يستفيقون جميعًا ، إلا بعد أن يصبح الإسرائيليون ملوك العالم ..

وبلا منازع ..

ووفقًا لتوقعات (فرتيواليتى) ، ولخطته أو برنامجه الاحتياطى الثانى ، فـ (أدهم) الآن فى قلب (واشنطن) ، ينتحل هيئة رسمية ، تتيح له التحرُّك داخلها ، بعد أن تجاوزت عقارب الساعة منتصف

الليل بساعة ونصف الساعة على الأقل ، على الرغم من بحث الجميع عنهم ..

فما من رجل أمن ، يبحث عن هارب ، يمكن أن يستوقفه شرطى آخر ، تحت ظروف طوارئ قصوى ..

الكل سينشغل بالبحث عن الهارب ..

والهارب فقط ..

ولكن أين يمكن أن يكون (أدهم) فى هذه اللحظة ؟!..

أين ؟!

طرح السؤال على رئيسه ، عبر شاشة الاتصال الكبيرة ، فأجابه هذا الأخير فى اهتمام :

ـ سيسعى للحصول على أكثر ما يهم رجل المخابرات ، فى أى قتال .. المعلومات .. سيحاول معرفة ماذا يحدث ، ومن دفع الجميع خلفه ، ولماذا ؟!

سأله (راءول) فى اهتمام :

ـ ومن أين يمكنه الحصول على مثل هذه المعلومات ؟!

قبل أن يجيبه رئيسه ، انقطع التيار الكهربى عن شاشة الاتصال فجأة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت من خلف (راءول) ، يقول فى حزم هادئ :

- هنـا .

التفت (راعول) إلى مصدر الصوت فى سرعة فزعة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وكل ذهول الدنيا يتفجَّر فى أعماقه ..

فأمامه مباشرة ، وداخل حجرة الاتصالات المؤمَّنة ، فى قلب السفارة الإسرائيلية فى (واشنطن) ، كان يقف آخر شخص يتخيل هو أو كمبيوتره الفائق (فرتيواليتى) رؤيته ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

بمنتهى القوة ، هزَّت دونا (كارلينا) رأسها ، وهى تطفئ سيجارتها الملوَّنة ، فى منفضة من الكريستال النقى ، قائلة :

- مستحيل !.. لا يمكننى تصديق ما تعرضينه علىَّ يا (سونيا) .

هزَّت (سونيا) كتفيها ، وهى تقول فى هدوء :

- ألأننى أعرض عليك مشاركتى حكم العالم ؟!

أجابتها دونا ، فى شىء من الحدة :

- بل لأنك تتحدثين كما لو كنا مشهدًا من فيلم سينمائى قديم وسخيف .. فكرة السيطرة على العالم هذه من أكثر أفكار الأرض

حماقة .. (جنكيز خان) (*) ، و(الإسكندر الأكبر) (**) ، و(نابليون) ، و(هتلر) (***) ، وحتى (أمريكا) نفسها ، كلهم حاولوا وفشلوا .. الإمبراطورية الرومانية تصورَّت هذا أيضًا ، وزحفت من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وكان هذا الاتساع هو السبب المباشر لتفككها وانهيارها (****) وفى عصرنا هذا ، يصبح من الجنون أن يحلم المرء بمجرد حلم ، بتحقيق ما أثبت التاريخ استحالة تحقيقه .

(*) جنكيز خان : (1167 - 1227م) ، فاتح مغولى ، اسمه الأصلى تيموجين ، خلف أباه (يقوسان) رئيسًا للتحالف المغولى ، اتخذ لقبه عام (1206) ، بعد إتمام فتح (منغوليا) وتأسيس عاصمة له فى (قرقورم) ، احتل الإمبراطورية الصينية كلها تقريبًا ، وظلت إمبراطوريته قائمة حتى عام (1368م) .

(**) الإسكندر الأكبر : إسكندر الثالث : (356 - 323 ق.م) ملك مقدونيا ، ابن (فيليب الثانى) من (أوليمبيا) ، تتلمذ على يد (أرسطو) ، وكان فاتحًا عظيمًا ، على الرغم من صغر سنه ، هزم الفرس ، واستولى على (مصر) ، فنشر فيها الثقافة ، وشجَّع الفنون ، وأسس مدينة (الإسكندرية) ، ومات وعمره 33 سنة ، ولم يعثر على قبره أبدًا .

(***) أدولف هتلر : (1889 - 1945م) : ديكتاتور ألمانى ، وزعيم الحزب النازى ، لقب بالفوهلر ، وتعنى الزعيم العظيم ، حارب العالم كله ، مشعلًا الحرب العالمية الثانية ، باحتلاله (النمسا) ، فتحالفت (إنجلترا) و(روسيا) و(أمريكا) وفلول (فرنسا) ضده ، لينهزم وينتحر فى نهاية الحرب .

(****) الإمبراطورية الرومانية : بدأت منذ تتويج (أوتو الأول) فى (روما) ، عام (962م) ، واستمرت حتى تنازل (فرانسيس الثانى) عن اللقب الإمبراطورى ، عام (1806م) ، ويرجع بعض المؤرخين هذا إلى أنها الإمبراطورية الثانية وليست الأولى ، وأن كثرة حروبها ، وتوسع رقعتها أكثر من اللازم ، كانا السبب فى ضعفها ، وسقوطها فيما بعد ، مع الفتح الإسلامى لـ (مصر) .

أشعلت (سونيا) سيجارة أخرى ، من سجائرها الطويلـة ، وهى تقول فى هدوء شديد الاستفزاز :

ـ حتى لو امتلكت السلاح المناسب .

هتفت بها دونا :

ـ حتى ولو امتلكت أسلحة الدنيا كلها .. هذا ما أثبته التاريخ .

عقدت (سونيا) حاجبيها ، ونفثت سيجارتها فـى قوة ، وهـى تقول فى صرامة :

ـ كنت أتصورّ أننى أتحدث إلى زعيمة (ألمانيا) ، لا إلى معلّمـة تاريخ نمطية .

عقدت دونا حاجبيها ، وهى تقول :

ـ لن أقع فيما وقع فيه من قبلى من أخطاء .

رفعت (سونيا) أحد حاجبيها ، وهى تقول فى خبث :

ـ ألن تشعرى بالندم إذن ؟!

بدت دونا عصبية على نحو ملحوظ ، وهى تتطلع إليها لحظات ، قبل أن تشيح بوجهها ، قائلة :

ـ لن أتورط علانية فى هذا .

أدركت (سونيا) أنها قد أصابت هدفها ، فمالت نحوها ، تقول فى لهفة :

ـ وأنـا لا أحبذ هذا أيضًـا .. ستواصلين تحـالفك مـع أجهزة المخابرات الأربعة ، وتستمرين فى اللعبة نفسـها .. تحـاربين (أدهم) معهم علانية ، وتساعدينه على النجاة منهم سرًا .. المهم أن ينشغل الجميع ببعضهم البعض ، فى حين تمنحيننى أنت المـال والرجـال ، وتؤمنين لـى الرحيل سـرًا إلـى (سـيبيريا) ؛ لأستعيد السيطرة على الموقف هناك .

قالت دونا ، دون أن تنظر إليها :

ـ بينى وبين (كولـوف) اتفـاق غيـر مكتـوب لعـدم التدخُّل والاعتداء .. هو ابتعد تمامًا عن الغرب ، وأنا تركت لـه ساحة (أوروبا) الشرقية ؛ ليسيطر عليها كما يشاء ، وبهذه اللعبة ، سينهار الاتفاق تمامًا .

قالت (سونيا) فى استهتار :

ـ الاتفاقيات وُضِعَتْ لتمزق فحسب .

انعقد حاجبا دونا ، وهى تقول :

ـ (كولوف) ليس بالشخص الهين .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية وثقة ، وهى تقول :

ـ اتركى لى أمره .. لقد أبدل اسمه ، واستبدل معه طبيعتـه ، واعتاد الحياة المرفهة ، ونسى قتال الشوارع ، وأصبح (كوربـوف) الثرى ، الذى يمتلك عدة قصور فاخرة ، فى أفخم مناطق (روسيا) ونسى (كولـوف) ، رجـل العصابات الشرس ، الـذى لا يتردد فى قتل طفل فى العاشرة ، من أجل عدة روبلات ، وأمثاله ، ممن يتغيرون مع امتلاء جيوبهم بالمال ، هم فريستى المفضلة .

ثم اتسعت ابتسامتها ، وتألّقت عيناها ببريق جذل ، وهى تضيف :

ـ اطمئنى .. إننى أتناول خمسة من أمثاله عند الإفطار .

غمغمت دونا :

ـ هذا لو سمح لك أن تستيقظى .

قالت (سونيا) فى استهتار :

ـ سأكون آخر من يغلق عينيه .. وسترين .

رمقتها دونا بنظرة لا تحمل تعبيرًا محدودًا ، وهى تقول :

ـ سنرى .

ابتسمت (سونيا) ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

ـ باعتبارك تهوين التاريخ .. هل قرأت شيئًا عن الأمازونيات ؟!

أجابتها دونا فى حذر ، وهى لا تدرى سر السؤال :

ـ إنهن قبيلة كانت تحكمها النساء فيما مضى ، ولست أعرف عنهن أكثر من هذا(*) !

قالت (سونيا) بنفس الابتسامة المحيِّرة :

ـ هذا يكفى .. هن حكمن قبيلتهن ، ونحن سنحكم العالم معًا ، ففى هذا الزمن ، لابد وأن تحكم المرأة .

أضافت دونا فى حزم :

ـ وتسود .

واتسعت ابتسامة (سونيا) ، ومدَّت يدها نحو دونا ، التى ترددَّت لحظة ، ثم استقبلت يدها لتشد عليها ..

الآن بدأ العد التنازلى لسباق السيطرة ..

السيطرة على العالم ..

أجمع ..

★ ★ ★

(*) الأمازونيات : من الأساطير اليونانية ، عن جزيرة تسكنها نساء تحترفن الصيد والقتال ، وتقول الأسطورة أنهن كن فى طفولتهن يقطعن ثديهن الأيمن ، ليسهل عليهن حمل القوس والسهم ، وليصبحن (من وجهة نظرهـن) أنصـاف رجال ، وهن جنس خرافى ، فى مملكة وهمية خرافية .

لثوان ، وعلى الرغم مما يراه أمامه ، لم يستطع (راعول) تصديق نفسه أبدًا ، وهو يحدِّق فى (أدهم) ، الذى يرتدى زى واحد من رجال أمن السفارة ، ولا يخفى ملامحه بأية وسيلة تنكر ، ولو محدودة ..

مستحيل

حتى (فرتيواليتى) نفسه ، لم يستطع التنبؤ بهذا !

إنه حتى لم يضعه ضمن السيناريوهات المحتملة ، التى يمكن أن يلجأ إليها (أدهم) ..

ربما لأن ما يراه (راعول) أمامه يدخل فى خانة المستحيل !.

المستحيل التـام !.

« ولكن كيف ؟!.. »

هتف بها (راعول) فى دهشة مذعورة ، على الرغم منه ، ولكن (أدهم) بدا شديد الهدوء والثقـة ، وهو يستند بكتفه إلى حاجز الباب ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ هل أدهشك وجودى يا عزيزى (راعول) ؟!

هتف به (راعول) :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟!.. هذا المبنى مؤمن جيدًا ، ونظم الأمن كلها إليكترونية رقمية ، وكل حارس أمن هنا يحمل (ريد آى) ، ولا يمكنك خداعه ، حتى لو تنكَّرت فى هيئة بعوضة .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى بساطة ، قائلاً :

ـ ولهذا لم أحاول أن أتنكَّر فى أية هيئة .

هتف به منزعجًا :

ـ ولكن كيف عبرت ؟!

عاد (أدهم) يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أظنك تطالبنى بكشف أساليبى ، فهذا لا يمكن أن يصدر عن رجل مخابرات محترف ، ولكن يكفى أن أخبرك أننى لم أبتكر شيئًا ، فالرسم الهندسى الكامل لسفارتكم هنا موجود لدينا ، مع كل ما أجريتم عليه من تعديلات وتغيرات ، ونظام أمنكم ، الذى تتصوَّرونه شديد المناعة ، يحفظه كل رجل مخابرات فى بلدى عن ظهر قلب ، وكل ما فعلته ، هو أنى استغللت ثغراته ، التى درسناها طويلاً ، مع ثقتى فى أن من يدير اللعبة كلها سيكون حتمًا فى حجرة الاتصالات المؤمَّنة ، يتابع الموقف مع رياسته مباشرة .

قال (راعول) فى ارتباك ، ويده تتسلَّل إلى مسدسه خفية :

ـ أية لعبة تلك ، التى تتصوَّر أننى أديرها ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ لعبة (فرتيواليتى) .. لا تنزعج يا عزيزى ، فلقد قبعت هنا لبعض الوقت ، قبل أن أفصح عن وجودى ، لاكتسب بعض المعلومات ، قبل أن أبدأ لعب دورى .

سحب (راعول) مسدسه بسرعة خرافية ، تليق برجل مخابرات محترف ، ولكن قبل حتى أن ترتفع فوهته لتواجه (أدهم) ، كان هذا الأخير قد وثب عبر الحجرة وثبة مدهشة ، وقبض على معصم الإسرائيلى بأصابع من فولاذ ، وهو يقول فى سخرية :

ـ كنت أتمنى أن تفعلها .

ضغط (راعول) زناد مسدسه بالفعل ، فانطلقت من فوهته رصاصة ، بدوى شديد ، ومرقت على مسافة سنتيمتر واحد من عنق (أدهم) ، الذى لوى معصمه فى عنف ، فأجبره على إفلات مسدسه ، الذى سقط أرضًا ، والإسرائيلى يصرخ فى حدة :

ـ دوى الرصاصة سيجذب كل رجل أمن إلى هنا .

أجابه (أدهم) :

ـ خطأ .. هذه الحجرة مجهَّزة لعزل الأصوات تمامًا ؛ لتأمين كافة السرية للاتصالات ، وليست بها أية وسائل رصد أو مراقبة ، ولن يعرف مخلوق واحد ما يحدث هنا .

ثم هوى على فك (راعول) بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا فى صرامة :

ـ حتى أنت .

ارتجَّ رأس (راعول) فى عنف ، مع قوة الضربة ، وزاغت عيناه فى محجريهما لحظة ، ثم تهاوى رأسه فاقد الوعى فأزاحه (أدهم) بسرعة عن مقعد الاتصال ، وهو يقول :

ـ والآن ، ابق هادئًا هنا ، حتى استوعب ماذا يدور بالضبط .

قالها ، وجلس على مقعد الاتصال ، وضبط زر تشغيل الصوت دون الصورة ، بعد أن أعاد التيار الكهربى ، ولم يكد يفعل ، حتى سمع رئيس (راعول) يهتف :

ـ أين أنت يا (راعول) ؟!.. ماذا حدث عندك ؟!.. لماذا انقطع الاتصال فجأة ؟! ولماذا لا أراك ؟!

أجابه (أدهم) بصوت يحاكى صوت (راعول) على نحو مدهش :

ـ عطل فنى يا سيِّدى .. الشاشة لم تعد تعمل .. ولكننا نستطيع مواصلة حديثنا .. كنا نتحدَّث عن (أدهم) ، ووجوده فى (روسيا) ، ولكى يمكننى التفكير جيدًا ، دعنا نلخص الأمر كله منذ البداية .

سأله رئيسه ، فى شىء من الحذر :

ـ أترى هذا ضروريًّا .

أجابه فى خبث ، يماثل خبث (راعول) :

ـ إنها الحرب .

لم يكن للعبارة معنى واضح ، ولكن لسبب ما ، اكتفى بها رئيسه ، وراح يلخص الموقف له ، فى أذنى (أدهم) ..

بمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

على الرغم من كل ما تلقاه من تدريبات ، شعر (هشام) بتوتر ملحوظ ، وهو يدور حول مبنى السفارة الإسرائيلية مترجلاً ، فى ثياب شرطى أمريكى ؛ فقد كان يعلم أن سيره منفردًا سيثير الشبهات والاهتمام حتمًا ، وخصوصًا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، بعد أن تجاوزت عقارب الساعة الثانية صباحًا ..

كانت دوريات الشرطة تجوب العاصمة الأمريكية طوال الوقت ، بحثًا عن الهاربين ؛ وكان عليه أن يتجنبها ويتحاشاها طوال الوقت ، وهو يتساءل : لماذا تأخر (أدهم) كل هذا الوقت ؟!..

وهل نجح بالفعل فى دخول السفارة الإسرائيلية ؟!..

وكيف ؟!..

جده أخبره الكثير عن (أدهم) منذ طفولته ، ولقد انبهر به كثيرًا فى صباه ، واعتبره بطله ومثله الأعلى فى شبابه ..

ولكن العمل إلى جواره أمر يختلف ..

يختلف تمام الاختلاف ..

إنه أشبه بمتابعة أسطورة حية ..

بل إن ما واجهه معه ، يكاد يتفوّق على الأساطير نفسها ..

لقد واجها رجال العصابات ..

وجيش من (المارينز) ..

ومرا بأكثر من موقف ، كان الموت يبدو فى كلٍّ منها قاب قوسين أو أدنى ..

أو أنهما كانا فى قلب الموت نفسه ..

ولكنه تجاوز كل هذا ، ودون خدش واحد ..

وهذا ، من وجهة نظر أى شخص طبيعى أمر خارق ..

بل مستحيل !..

مستحيل تمامًا !..

الآن فقط أدرك لماذا يطلقون عليه هذا اللقب ، الذى طالما ردَّده جده على مسامعه ..

لقب (رجل المستحيل) ..

« معذرة أيها الشرطى .. »

استوقفه هذا النداء ، الذى انطلق فجأة ، بلكنة بريطانية واضحة ، فارتبك لحظة ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويلتفت إلى صاحبه ، قائلاً ، ومحاولاً تقمص دور شرطى أمريكى :

ـ بِمَ يمكننى أن أخدمك ؟!

كانا رجلين ، أحدهما شاب فى منتصف الثلاثينات ، والثانى كهل أشيب الشعر ، ولكنه يبدو متين البنيان ، قوى الشكيمة ، على الرغم من وجهه شبه المتغضن ، وملامحه التى تشف عن تجاوزه الستين ، ولقد اقترب منه الشاب ، قائلاً :

ـ لقد ضللنا الطريق هنا ، ونبحث عمن يرشدنا إلى هدفنا .

دار الشاب حوله ، فدار بجسده معه ، وهو يغمغم فى حذر :

ـ فى هذه الساعة ؟!

هزَّ الشاب كتفيه ، قائلاً :

ـ إننا سائحان .

تماسك (هشام) ، وشد قامته ، وهو يسأله :

ـ وما هدفكما بالضبط ؟!

شعر فجأة بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة رأسه ، وسمع صوت سير (ويليام) من خلفه ، يقول فى صرامة :

ـ (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وأدرك (هشام) أن اللعبة قد انتهت ..

أو شارفت هذا ..

بكل تأكيد ..

★ ★ ★

« رجال مكتبنا فى (واشنطن) يشعرون بالقلق .. »

نطق نائب مدير المخابرات المصرية بالعبارة ، فى قلق واضح يتفق معها ، والساعة تشير إلى التاسعة وخمس دقائق صباحًا ، بتوقيت (القاهرة)(*) ، فرفع إليه المدير عينيه ، متسائلاً :

ـ ألم يتم اتصالهم بـ (ن ـ 1) بعد ؟!

هزَّ نائبه رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لا توجد وسيلة واحدة لهذا ؛ فإما أن يجرى هو اتصاله بهم ، أو لا أمل ، فلن يمكنهم تحديد موقعه أبدًا ، ونظرًا لخبرته ومهارته ، يستحيل العثور عليه ، ما لم يجر هو اتصاله بهم أولاً ، ولكن رجالنا

(*) (القاهرة) تسبق (واشنطن) بسبع ساعات من فارق التوقيت .

يؤكدون أنه ، وعلى الرغم من توقيت (واشنطن) الآن ، فهناك تحركات عديدة تجرى فيها ، على نحو مقلق ... رجال (المارينز) يحاصرونها بقواتهم تمامًا ، ويفحصون كل من يغادرها أو يدخلها بمنتهى الدقة ، وباستخدام كاشف تنكر حديث وبالغ الدقة ، ورجال الشرطة هناك يجوبون الطرقات ، بحثًا عن كل من يشتبه فى أمره ، وهم بوسيلة غير مباشرة ، يحاصرون السفارة المصرية ، حتى لايلجأ إليها العميد (أدهم) ، ويحصل منها على جواز سفر دبلوماسى ، يمنعهم من إلقاء القبض عليه ، وفقًا للقانون الدولى ، وهذا كله متوقَّع إلى حد كبير ، ولكن ما يثير الدهشة حقًّا ، هو موقف الإسرائيليين والبريطانيين هناك .

رفع المدير حاجبيه وخفضهما ، وهو يتساءل فى صرامة :

ـ البريطانيون أيضًا ؟!

أومأ نائبه برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ مكتبنا فى (واشنطن) أكَّد أن سير (ويليام) قد وصل من (أوروبا) ، مع مساعده (جون) ، وتم الاتصال بينه وبين قوات المارينز ، فى حين وصل رجل (الموساد) (راءول) إلى السفارة الأمريكية ، بعد ساعة كاملة من منتصف الليل ، وهو أمر غير طبيعى ، لم يحدث حتى خلال حرب السادس من أكتوبر .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام قلق :

ـ وهل تعتقد أن كل هذا بشأن (ن ـ 1) ؟!

وضع أمامه نائبه تقريرًا مطبوعًا ، وهو يقول :

ـ هذا التقرير وصل من (أوسلو) ، منذ أسبوعين تقريبًا ، ولكن أحدًا لم يربطه بما يواجهه العميد (أدهم) الآن ، إلا بعد المعلومات الأخيرة ، عن البريطانيين والإسرائيليين .

سحب المدير التقرير ، وقرأه فى اهتمام ، قبل أن يغمغم ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ الروس والبريطانيون والأمريكيون والإسرائيليون ، اجتمعوا معًا ؟

أضاف نائبه ، بلهجة ذات مغزى :

ـ وانضمت إليهم دونا (كارولينا) .. زعيمة (المافيا) الإيطالية .

تراجع المدير فى مقعده ، وهو يحك ذقنه بيده فى تفكير قلق ..

ترى هل اجتمعوا كلهم من أجله ؟!

من أجل (ن ـ 1) ؟!..

إنه أكثر من يدرك خطورته وقدراته ، وربما أكثر مما يدركون هم ، ولكنه لم يتصوَّر أبدًا أن يتحالفوا جميعًا للقضاء على رجل واحد !!..

حتى ولو كان (ن ـ 1) نفسه !!

هذا يتجاوز كل المنطق والعقل ..

وكل القواعد ..

إلا إذا ..

« هناك هدف أكبر حتمًا .. »

نطقها فى تفكير عميق ، فقال نائبه فى سرعة :

ـ لا أحد يعلم ماذا دار فى اجتماعهم بالضبط .

اعتدل المدير ، قائلاً فى حزم :

ـ ولكن من الضرورى أن نعلم ..

واتخذ مجلسًا صارمًا ، وهو يكمل بلهجة آمرة :

ـ اطلب من كل رجل لدينا أن يسعى لمعرفة سر هذا الاجتماع ، وما أسفر عنه ، ومر رجالنا فى واشنطن ، مع فريق المساعدة ، الذى يقوده السيد (حسن) ، أن يكونوا على أهبة الاستعداد ، فبين لحظة وأخرى ، من المحتمل جدًا أن نعلنها .

سأله نائبه فى حذر ، وإن توقَّع الجواب :

ـ نعلن ماذا ؟!

رفع المدير إليه عينين صارمتين حازمتين ، وهو يقول :

ـ الحرب ..

وكان ينطقها بكل حزم وحسم الدنيا ..

وبكل معنى الكلمة ..

★ ★ ★

6ـ الحــرب ..

نقل السفير البريطانى فى (واشنطن) بصره فى قلق ، بين سير (ويليام) و(جون) و(هشام) فى قبو السفارة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ حتى فى الأعراف المدنية ، وعلى الرغم من كونك داخل سفارة بلادك ، ولا أحد يستطيع المساس بك ، مازال ما فعلته يدخل فى نطاق الجريمة يا سير (ويليام) .

قال (ويليام) فى برود :

ـ كل شىء مباح ، فى الحب والحرب .

قال السفير فى حدة :

ـ ليست حالة حب ، ولسنا بالتأكيد فى حالة حرب ، مع الولايات المتحدة الأمريكية .

أشار (ويليام) إلى (هشام) بنفس البرود :

ـ لا يمكنك دومًا اختيار أرض المعركة ، وهذا الشاب مصرى ، وليس أمريكيًا .

قال السفير فى صرامة :

ـ هذا لا يصنع فارقًا .. مازلنا أمام جريمتى اختطاف واحتجاز .

اندفع (جون) يقول فى حدة :

ـ ألا يمكنك استيعاب الموقف يا رجل ؟!.. إننا أمام مسألة أمن قومى ، ونحن هنا نحمى (بريطانيا) كلها ، وأنت تتحدَّث عن جريمة مزدوجة ؟!

قال السفير فى غضب :

ـ كل منا يقوم بعمله يا هذا .. أنتما تقاتلان لحماية الأمن القومى ، وأنا أبذل قصارى جهدى ؛ للحفاظ على علاقات طيبة وسليمة ، مع دولة صديقة ، وحليف قوى .

كاد (جون) يندفع مرة أخرى ، ولكن سير (ويليام) أشار إليه بالصمت ، وهو يقول للسفير ، بنفس ذلك البرود المستفز :

ـ مع احترامى لعملك الجليل يا سيِّدى السفير ، فالدولة الحليفة نفسها تتآزر معنا فيما نفعله ، ويمكننى أن أوصلك مباشرة بأحد مسئوليها ؛ ليؤكِّد لك هذا .

انعقد حاجبا السفير فى صرامة ، وهو يقول :

ـ فى مثل هذه الظروف ، أفضل وثيقة موقَّعة .

شدَّ سير (ويليام) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

- بصفتى أحد نواب مدير المكتب السادس(*) ، سأوقع كل ما تريده دون تردُّد .

قال السفير فى حزم :

- فـورًا .

أجابه سير (ويليام) ، وهو يسحب ورقة وقلمًا :

- بالتأكيد .

خط بضع كلمات على الورقة ، ثم ذيَّلها بتوقيعه ، وناولها للسفير ، الذى طالعها فى اهتمام بالغ ، ثم طواها فى عناية ، وقال وهو يدسُّها فى جيبه :

- مازلنا أمام جريمتى اختطاف واحتجاز .

قال سير (ويليام) فى صرامة :

- هذه الوثيقة تعفيك من أية مسئولية .

هزَّ السفير رأسه نفيًا ، وقال :

- هذا يحدث داخل السفارة ، وقوانين الدنيا كلها ، لا تستطيع إعفائى من هذا .

(*) المكتب السادس : هو الاسم المستخدم للتعبير عن المخابرات البريطانية ـ القسم الخارجى .

بدا الغضب فى وضوح على وجه (جون) ، وهمَّ بالاندفاع لقول شىء ما ، ولكن سير (ويليام) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يقول للسفير فى برود :

- فليكن .. الآن سنبدأ عملنا ، وأؤكِّد لك مسبقًا أنه لن يروق لك أبدًا ، فإما أن تبقى لتشاهد ، أو تتركنا وحدنا .

انعقد حاجب السفير فى شدة ، وبدا شديد التوتر ، وهو ينقل بصره بين (هشام) ورجلى المخابرات ، قبل أن يقول فى عصبية :

- لا دماء .

أجابه سير (ويليام) فى برود :

- هناك وسائل عديدة .

أضاف السفير ، فى عصبية أكثر :

- ولا قتل .

استلَّ سير (ويليام) مسدسه ، ووضعه على المنضدة أمامه ، وهو يسأله فى صرامة :

- هل ستبقى ؟!

أدار السفير عينيه فى وجوههم للمرة الثالثة ، فى عصبية زائدة ، قبل أن يندفع مغادرًا القبو ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ، وما أن فعل ، حتى التفت السفير إلى (هشام) ، الذى ما زال يرتدى زى رجال الشرطة الأمريكية ، وقال فى صرامة ، وهو ينقر مسدسه بسبّابته :

ـ والآن يا فتى ، ستقصُّ على قصة حياتك كلها ، منذ رأت عيناك الدنيا ، بعد أن تجيب سؤالى الأساسى .

نظر إليه (هشام) فى حذر ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فمال (ويليام) نحوه ، واكتسب صوته المزيد من الصرامة ، وهو يكمل :

ـ أين (أدهم صبرى) ؟!

غمغم (هشام) :

ـ من ؟!

انعقد حاجبا (جون) فى غضب ، فى حين ابتسم (ويليام) فى سخرية ، وهو يقول ، متراجعًا فى مقعده :

ـ محاولة سخيفة ساذجة ، لا تصلح حتى لأفلام السينما الهزلية ، خاصة وأننا نعرف أنه هنا من أجلك .

لم يجب (هشام) بحرف واحد ، فأمسك (ويليام) مقبض مسدسه ، وقال فى برود ، حمل نبرة مخيفة :

ـ لا تفكر أو تتردَّد كثيرًا ، ففرصتك الوحيدة فى أن تحيا ، حتى تشاهد شروق الشمس ، هى أن تجيب أسئلتنا فى وضوح .

ثم رفع المسدس ، وصوَّب فوهته إلى جبهة (هشام) ، مستطردًا فى غضب واضح شديد :

ـ أو ننهى هذا اللقاء ... الآن .

واتسعت عينا (هشام) ، على الرغم منه ..

فالآن ، فى هذا القبو الرطب العازل للصوت ، أسفل السفارة البريطانية فى (واشنطن) ، لم يعد لديه خيار ...

أى خيار ...

على الإطلاق ..

★ ★ ★

فى بطء يحمل الكثير من الاهتمام ، رفع مدير (الموساد) عينيه ، يتطلّع إلى رئيس (راءول) ، قبل أن يسأله :

ـ طلبت مقابلتى فورًا .. فلماذا ؟!

تردَّد الرجل لحظات ، قبل أن يقول :

ـ هناك أمر يثير قلقى ، احتجت أن أناقشه معك .

تراجع المدير فى مقعده ، متسائلاً :

ـ وما هو ؟!

أجابه الرجل فى حذر :

ـ منذ خمس دقائق ، أنهيت محادثة مع (راءول) ، عبر شاشة الاتصال المؤمَّنة ، فى سفارتنا فى (واشنطن) .

قال المدير ، فى بطء حذر :

ـ هذه الوسيلة يستحيل اختراقها أو كشفها ، مهما كانت الوسائل والسبل .

قال الرجل ، والقلق فى صوته يتزايد :

ـ أدرك هذا جيدًا يا سيِّدى ، ولقد راجعت الأمر بنفسى ، وتأكَّدت من أن كل شىء على ما يرام .

تزايد حذر رئيسه بدوره ، وهو يسأله :

ـ ماذا إذن ؟!

تردَّد الرجل أكثر هذه المرة ، فأضاف المدير فى صرامة :

ـ أفصح .

بدا وكأن هذا الأمر المباشر قد اخترق كبد الموقف ، فقد اندفع الرجل يقول :

ـ المشكلة تكمن فى (راءول) نفسه .. لقد انقطع الاتصال أثناء حديثنا ، ثم عاد صوتيًا بدون صورة ، بحجة أن الشاشة أصابها عطب ما ، ولقد ميَّزت صوت (راءول) جيدًا ، ولكن الأسئلة التى راح يطرحها طوال الوقت ، أثارت حيرتى بالفعل ، فقد سأل عن كل شىء وأى شىء ، كما لو أنه يجهل الأمر كله منذ بدايته ، وكانت حجته هى أنه يريد أن يستعيد معلوماته ، وينشط ذهنه ، ويركِّز أفكاره ... وربما نجح فى إقناعى بهذا فى البداية .

اعتدل المدير ، متسائلاً فى عصبية :

ـ إذن فقد أجبته .

بدا الرجل شديد التوتر ، وهو يخفض عينيه أرضًا ، مجيبًا :

ـ على كل ما سأله .

ثم رفع عينيه فى شىء من الخزى إلى المدير ، مضيفًا فى خفوت :

ـ إنه رجلنا على أية حال .

قال المدير فى غضب :

ـ ولكنك لم تسأله عن كوده الخاص ، أو شفرة الاتصال ، قبل أن تجيب أسئلته .

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ لقد سألته عن كل هذا ، كما تنصّ القواعد .

ثم انخفض صوته بشدة ، وهو يضيف :

ـ قبل أن ينقطع الاتصال المرئى .

احتقن وجه المدير فى شدة ، لم يتمالك نفسه ، وهو يصرخ فـى وجهه :

ـ أحمق .

ثم اختطف سمّاعة الهاتف اختطافًا ، وأدار رقمًا خاصًا قصيرًا ، واستمع إلى رنين الهاتف عند الطرف الآخر فى عصبية لنصف دقيقة تقريبًا ، قبل أن يأتيه صوت الملحق العسكرى الإسرائيلى ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيّدى .

سأله المدير فى صرامة :

ـ أين أدون (راعول) ؟!

غمغم رئيس (راعول) ، فى خفوت من يشعر بالذنب :

ـ إنه داخل سفارتنا ، ومن المستحيل أن ...

قاطعه المدير بنظرة صامتة صارمة غاضبة ، جعلته يبتلع لسانه ، وينكمش فى مكانه ، فى حين أجاب الملحق العسكرى عبر الهاتف :

ـ عندما رأيته آخر مرة ، كان داخل حجرة الاتصال المؤمّنـة ، يجرى اتصاله بكم .

صاح فيه المدير :

ـ خذ أقوى رجال أمنك ، وأحضره تحت الحراسة إلى مكتبك فورًا .. وافحص وجهه بجهاز (ريد أى) مرتين على الأقل .

بدا الرجل شديد الدهشة ، وهو يقول :

ـ أدون (راعول) ؟!

صرخ فيه مدير الموساد :

ـ نعم .. أدون (راعول) .

ثم أضاف فى عصبية بلغت مداها :

ـ لو أنه بالفعل أدون (راعول) .

أنهى الملحق الإسرائيلى المحادثة ، وهو غير قـادر علـى تصديق ما سمعه ؛ فهو يعرف (راعول) شخصيًا من عشـرة أعوام ، ومن المستحيل أن يخطئ تعرُّفه ..

لقد عملا معًا فى صفوف (الموساد) ، لأكثر من ست سنوات ، قبـل أن يتم إلحاقه هو بالقسم الدبلوماسى ، ويتم نقل (راعول) إلى قسم العمليات الخاصة ..

ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، لم يحاول مخالفة أوامر المدير ..

لقد اندفع خارج مكتبه ، وهو يهتف بمساعدة الأوّل :

ـ أحضر خمسة من أشد رجالنا ، واتبعونى إلى حجرة الاتصـالات المؤمَّنة .. لدينا أمر بإلقاء القبض على أدون (راعول) فورًا .

تفجَّرت دهشة عارمة فى كيان مساعده ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !

قال الملحق العسكرى بكل الصرامة :

ـ إنها أوامر (تل أبيب) .

قال المساعد فى توتر بالغ :

ـ ولكن أدون (راعول) غادر السفارة ، منذ دقيقة واحدة .

توقَّف الملحق العسكرى دفعة واحدة ، حتى إن توازنه كاد يختلّ ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، هاتفًا فى استنكار مذعور :

ـ غادر السفارة ؟!.. هل شاهدته بنفسك ؟!

تردَّد المساعد لحظة قصيرة ، ثم أجاب :

ـ كان يخفى وجهه بوشاح ، ويسعل إلى حد ما ، ولكننى ميَّزت صوته جيدًا ، و ...

اتسعت عينا الملحق العسكرى ، وقاطع مساعده ، هاتفًا :

ـ مستحيل !.. هل من الممكن أن ...

بتر عبارته بدوره ، وهو يندفع نحو حجرة الاتصالات ، فلحق به مساعده ، وهو يقول لاهثًا ، من فرط الانفعال :

ـ ماذا هناك بالضبط ؟!

هتف به الملحق العسكرى ، وهو يتجه نحو حجرة الاتصالات مباشرة :

ـ أراهنك أنه كان يختلف .

استرجع المساعد المشهد فى ذهنه ، وهو يقول ، فى تردُّد وتوتر :

ـ ربما .. لقد بدا أكثر طولاً ، وأوفر قوة ، ولكن ..

حاول الملحق العسكرى أن يفتح باب حجرة الاتصالات المؤمَّـنة ، ولكنه بدا موصدًا فى إحكام ، فتراجع مقاطعًا مساعده ، وهاتفًا :

ـ اكسر الباب .

هتف مساعده فى ذعر :

ـ باب حجرة الاتصالات المؤمَّنة ؟!.. إننا لا نقترب حتى منها ، دون تصريح أو أوامر رسمية .

صرخ الملحق العسكرى ، بكل عصبية وقوة وانفعال الدنيا :

ـ اكسره .

اندفع المساعد بكتفه ، وتحطَّم رتاج الباب ، وانفتح عن آخـره فى عنف ..

ووقف الرجلان ذاهلين ..

الملحق العسكرى الإسرائيلى ..

ومساعده ..

لأنـه هنـاك ، وحيث تركـه (أدهم) ، كـان رجل (الموسـاد) الإسرائيلى ملقى أرضًا ، فاقد الوعى ..

أما (أدهم) ، فقد انصرف منتحلاً شخصيته ..

انصرف بعد أن حصل على كل ما يحتاج إليه من معلومات ..

أو ما أتيح منها على الأقل ..

انصرف لينتقل من الدفاع إلى الهجوم ..

وليبدأ حربه ..

الأخيرة ..

★ ★ ★

« هنا فى (واشنطن .. »

نطقها (سميث) فى انفعال شديد ، وهو يقف أمـام (مولـر) ، فى تلك الساعة المتأخرة ، داخل مكتب المخابرات الأمريكيـة فى (واشنطن) ، فقال هذا الأخير فى توتر :

ـ تمامًا كما توقَّعت أنت .. لم يحـاول الهروب ، وإنمـا اقتحم ميدان المعركة فى التحارية عجيبة ، وهاجم السفارة الإسـرائيلية مباشرة ، وانصرف بمنتهى الجرأة ، قبل أن يدرك طاقم حراستها حتى وجوده ، كما أبلغنا عميلنا هناك .

تألَّقت عينا (سميث) ، وهو يقول بنفس الانفعال :

ـ إذن فهو هنا !

قال (مولر) ، فى توتر أكثر :

ـ هو ، وهو يعلم أن قوات (المارينز) تحاصر العاصمة كلهـا ، وكل رجل شرطة فيها يبحث عنه ، وفريق فـى المخـابرات يحمل (ريد آى) ، ويسعى خلفـه فى كل ركـن ، ومن يدرى !.. ربمـا عرف هناك ، فى السفارة الإسرائيلية ، كل ما يحدث بالضبط .

انعقد حاجبا (سميث) فى توتر مماثل ، وهو يقول :

ـ المهم أنه هنا .

لوَّح (مولر) بيده ، هاتفًا :

- وليس وحده .. رجالنا رصدوا وصول اثنين من رفاقه ، على متن الطائرة القادمة من (أمستردام) ، والتى انطلقت من (القاهرة) إلى (نيويورك) ، عبر (هولندا) ، فتاة ورجل بدين .

تألّقت عينا (سميث) على نحو أشد ، وهو يقول فى انفعال :

- إذن فهما فى (نيويورك) ؟!

هزّ (مولر) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى عصبية :

- بل فى (واشنطن) .. لقد استقلا طائرة من طائرات (يونايتد) ، فور وصلهما إلى (نيويورك) ، ورصد رجالنا وصولهما إلى هنا ، قبل نصف ساعة فحسب من منتصف الليل .

بدا (سميث) شاردًا يخاطب نفسه ، وهو يغمغم :

- فتاة ورجل بدين ؟!.. إنهما هما حتمًا .

وقبل أن ينظر إليه (مولر) متسائلاً ، أضاف فى لهفة :

- هل يحملان جوازى سفر دبلوماسيين ؟!

هزّ (مولر) رأسه نفيًا مرة أخرى ، وأجاب فى حذر متسائل :

بل جوازين عاديين .

سأله (سميث) فى لهفة أكثر :

- وهل يقيمان فى مبنى السفارة المصرية ؟!

أجابه (مولر) ، وحذره وتساؤله يتزايدان :

- بل فى منزل صغير ، فى نهاية شارع (بنسلفانيا) ، بالقرب من (يونيون ستاشين)(*) .

بدا تألّق عينى (سميث) أشبه بجمرتين من اللهب ، تطلّان من منتصف وجهه ، وهو يقول :

- عظيم .

انعقد حاجبا (مولر) فى شدة ، وهو يهتف به فى حدة :

- ولماذا يثيرك الأمر إلى هذا الحد ؟!

التفت إليه (سميث) ، مجيبًا فى سرعة :

- لأنهما ليسا زميلين عاديين .. إنهما ضمن الأربعة ، الذين حارب هو نفسه الدنيا كلها لاستعادتهم من قبل ، ولو أنك راجعت ملف (أدهم صبرى) هذا ؛ لأدركت أن نقطة ضعفه الوحيدة تكمن فى ارتباطه الشديد بهذه الأنثى المصرية ، وذلك البدين الشره .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (مولر) ، وهو يسأل :

(*) يونيون ستاشين : محطة القطارات والأتوبيسات الرئيسة ، فى العاصمة (واشنطن) ، وهى مبنى هائل وتاريخى ، يعدّ من أهم معالم الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ومـاذا ؟!

أكمل (سميث) وكأنه حتى لم يسمعه :

ـ وهذا يعنى أن أسهل وسيلة لدفعه إلى الظهور ، هى أن ننقض عليهما .

وصمت لحظة ، قبل أن يرفع سبّابته ، مضيفًا :

ـ وبأكبر ضجة ممكنة .

بدا التشكُّك على وجه (مولر) ، وهو يقول :

ـ أتظنه من الحماقة ، بحيث يجازف بالظهور والإعلان عن نفسـه ، وهو يعلم أن (واشنطن) كلها تسعى خلفه ؛ لمجرَّد أننا نهاجمهما ؟!

ارتسمت ابتسامة واثقة ، على طرف شفتى (سميث) ، وهو يقول :

ـ لن يمكنه المقاومة .

ثم شدّ قامته ، مكملاً بمنتهى الثقة :

ـ وسترى .

كان ينطقها بمنتهى منتهى الثقـة ، ولكن (مولر) عقد حاجبيـه فى شك منتهى الشك ..

★ ★ ★

على الرغم من كونها ضابط مخابرات محترف ، يحمل رتبـة متوسطة ، فى صفوف المخابرات المصرية ، بدت (منى) شـديدة التوتر ، وهى تتابع الاتصالات المؤمَّنـة ، عبر شبكة الإنترنت ، وتهتف بـ (قدرى) ، الذى انهمك فى إعداد شطيرة لحم ساخنة :

ـ هل سافرنا كل هذا الوقت ، لتصنـع شطيرتك ، أم لنسعى لمعاونة (أدهم) ؟!

واصل إعداد شطيرته فى عنايـة بالغة ، وهـو يجيبهـا ، حتى دون أن يلتفت إليها :

ـ وأين (أدهم) لنعاونه ؟!

هتفت فى حدة :

ـ هذا ما أحاول معرفته .

تطلَّع إلى شطيرته فى إعجاب واضح ، ثم التهم منها قضمة كبيرة ، راح يلوكها فى فمه بتلذُّذ ، قائلاً :

ـ ما دمت لا تجدين أية أخبار أو معلومات بشأنه ، فهو حتمًا بخير .

انعقد حاجباها ، وهى تقول محتدة :

ـ ومن أدراك ؟!

قضم قضمة كبيرة أخرى ، وهو يجيب ، بفم مملوء بالطعام :

ـ (أدهم) ليس بالشخص العادى ، ولقد شاهدت بنفسك كيف استجوبنا رجال (المارينز) لنصف الساعة ، قبل أن يسمحوا لنا بدخول العاصمة ، وكيف استوقفتنا ثلاث دوريات شرطة على الأقل ، قبل أن نصل إلى هنا .. ألديك شك فى أن كل هذا من أجله .

غمغمت فى عصبية :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

قال وهو يتناول شطيرته فى استمتاع :

ـ هل تتصوَّرين أن الظفر برجل مثله ، يمكن أن يتم فى هدوء ، ودون أن يشعر به أحد ..

أدركت مغزى كلامه ، فالتفتت إليه مغمغمة :

ـ مستحيل !

أشار إليها ، قائلاً :

ـ بالضبط .

وعاد يلتهم شطيرته بمنتهى الاستمتاع ، فى حين صمتت هى لحظات لهضم موقفه ومنطقه ، قبل أن تقول فى توتر :

ـ ولكن هذا لا ينفى أنه يتعرَّض للخطر .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ بلا شك .

ثم توقف فجأة عن التهام شطيرته ، والتقى حاجباه ، وهو يضيف ، فى توتر مباغت مفاجئ :

ـ وكذلك نحن .

انتبهت ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى وقع الأقدام ، التى حاول أصحابها تخفيفها بقدر الإمكان ، والتى تتسلَّل إلى منزلهما الآمن ..

وفى خفة ، وعلى الرغم من توترها ، التقطت (منى) مسدسـها ، وأشارت إلى (قدرى) بالصمت وهى تتحرك بلا صوت نحو باب المنزل ..

لم يكن هناك أدنى شك ..

هناك من يتسلل إليهما ..

أو تحيط به ..

فى خفة ..

وهدوء ..

ودقـة ..

ويقترب من الباب ..

والنوافذ ..

والسطح ..

و ...

وفجأة ، حدث الاقتحام ..

عبر النـافذة ، حطم رجلان متشحان بالسواد الزجاج ، ووثبا بوساطة حبلين قويين إلى الداخل ..

وفى اللحظة نفسها ، اقتحم ثلاثة رجال الباب ..

وكان الخمسة يخفون وجوههم بأقنعة سوداء سميكة ، لاتظهـر سوى عيونهم ، ويحملون مدافع آلية قوية ..

وسـقطت الشـطيرة مـن يـد (قـدرى) ، وهـو يتراجع فى ذعـر ..

وانقضت (منى) ..

بوثبة قوية ، ركلت المدفع الآلى ، من يد أقرب الرجال إليهـا ، ثم دارت حول نفسـها فـى رشاقة ، وركلـت الثـانى فـى فكـه ، فأطاحت به فى عنف ..

ولكن الثالث انقضّ عليها فى براعـة ، وضرب صدرها بكعب مدفعه ، فى قوة شديدة ، فأسقطها أرضًا ، فى نفس اللحظة التى لكم فيها آخر (قدرى) ، الذى سقط كجوال من حجر ، دون أن يطلق سوى أهه مكتومة ضعيفة ..

وقاومت منى ..

قاومت .. وقاومت .. وقاومت ..

ولكن ثلاثة رجال أشداء أقوياء أمسكوا بهـا ، وسيطروا عليها ، وجذبها أحدهم من شعرها فى قوة ، وهو يقول فى شماتة :

ـ خسرت أيتها المصرية .. لم يكن لـك أدنى أمل منذ اللحظـة الأولى ، وأنت تواجهين خمسة من أفضل رجال القوات الخاصة .

هتفت ، وهى تواصل المقاومة فى استماتة :

ـ إننى أفضل الموت .

استل الرجل خنجرًا حادًا ماضيًا ، وهو يقول فى شراسة :

ـ فليكن .

وهوى بخنجره .

بمنتهى القوة

★ ★ ★

7 ـ الأســد ..

« كفى .. »

نطقهـا (هشام) بمنتهى الضعـف ، بعـد أن أنهكـه التعذيب المتواصل ، لما يزيد عن ساعة كاملة ، ولكن سير (ويليام) ظـل هادئًا على نحو مستفز ، وهو يشير إلى (جون) بالتوقف ، قائلاً :

ـ هل ستخبرنا بما نريد ؟!

ازدرد (هشام) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول فى تهالك :

ـ لا يمكننى هذا .

انعقد حاجبا سير (ويليام) وأشار إلـى (جون) بالمواصلة ، فرفـع (جون) قبضته فى تحفز شرس ، ولكن (هشام) استدرك فى توتر :

ـ لأننى أجهل الأجوبة .

توقَّف (جون) ، ملتفتًـا إلـى سير (ويليام) ، وكأنمـا يسألـه المشورة ، فصمت هذا الأخير لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لست أصدق هذا .

هزَّ (هشام) رأسه فى ضعف ، وهو يقول :

ـ لقد اعترفت أننى أعرف السيِّد (أدهم) ، وأنـه هنـا بتوصيـة خاصة من جدى .. ولقد واصلت الهروب مـن الجميع بصحبتـه ، طـوال مـا يقرب مـن يوم كـامل ، ولكنـه تركنـى هنـاك ، حيث وجدتمونى ، وانصرف دون أن يخبرنى بوجهته .

زمجر (ويليام) ، قائلاً :

ـ لن يخاطر من أجلك بكل هذا ، ثم يتركك وحدك بهذه البساطة .

غمغم (هشام) فى صعوبة :

ـ كان المفترض أن يعود .

وسقط رأسه على صدره ، وهو يضيف :

ـ لو أنكما فقط انتظرتماه ..

انعقد حاجبا سير (ويليام) أكثر ، وتبادل نظرة عصبية مع مساعده الأوَّل (جون) ..

نعم ، كانت هذه هى الوسيلة المضمونة حتمًا ..

أن ينتظرا عودته ..

فما دام قد فعل كل ما فعله ، من أجل ذلك الشاب ، فسيعود إلى حيث تركه وحده حتمًا ..

ولكنهما أهملا هذه القاعدة البسيطة ..

والمباشرة ..

إنهما حتى لم يتركا دليلاً واحدًا خلفهما ، يشير إلى حيث أخذا الشاب ..

وهذا يعنى أن (أدهم) لن يتوصل إليهما ..

ولن يصل إليهما ..

حتمًا ..

منحهما هذا شعورًا بالسخافة والغباء ، جعل سير (ويليام) يقول فى عصبية شديدة :

ـ ما دام يبحث عنك ، فسيأتى حتمًا .

نظر (جون) إلى سير (ويليام) متسائلاً ، فأضاف هذا الأخير فى حزم :

ـ وسنترك له ما يرشده إلى مكانك .

اندفع (جون) يقول فى صرامة :

ـ ما لم يظفروا به قبل هذا .

هزَّ (هشام) رأسه فى ضعف ، على نحو لا ينم عن شىء بالتحديد ، وأمسك (جون) شعره ، وبدا وكأنه سيواصل ضربه وتعذيبه ، لولا أن اندفع السفير داخل القبو فجأة ، وهو يقول فى حدة :

ـ أظن هذا يكفى .

التفت إليه سير (ويليام) فى غضب ، قائلاً :

ـ كيف تقتحم المكان هكذا ؟!

أجابه السفير فى صرامة :

ـ هذا المكان جزء من سفارتنا ، وأنا مسئول عن المبنى كله ، من سطحه إلى قبوه ، وعن حديقته الأمامية والخلفية أيضًا .

قال (جون) فى حدة :

ـ أخبرناك أنها مسألة أمن قومى .

قال السفير فى قوة :

ـ وأنا أجريت اتصالاتى بالمسئولين عن الأمن القومى فى الوطن ، وكلهم استنكروا ما تفعلونه ، وأكدوا أنه تصرُّف فردى ، لا شأن له بهم ولا بالوطن .

احتقن وجه (جون) فى شدة ، فى حين انعقد حاجبا سير (ويليام) ، والسفير يواصل بمنتهى الصرامة :

ـ لذا فهذه الأمور الشائنة ينبغى أن تتوقَّف فورًا .

تمتم (هشام) ، وهو يوشك على الانهيار :

ـ أرجوك .

تطلَّع إليه السفير فى إشفاق ، فى حين قال سير (ويليام) فى حدة :

ـ فليكن .. سنصحبه إلى أحد منازلنا الآمنة هنا .

قال السفير فى إصرار :

ـ (لندن) تطلب إطلاق سراحه فورًا ، قبل أن يؤدى هذا إلى مشاكل مع (القاهرة) .

رمقه (ويليام) بنظرة غاضبة ، ثم أشار إلى (جون) ، قائلاً :

ـ حل قيوده ، وانقله إلى السيارة .

قال السفير فى صرامة :

ـ أطلق سراحه .

وفجأة ، على نحو غير متوقَّع إطلاقًا ، وعلى عكس ما يوحى به عمره ، وثب سير (ويليام) من مقعده ، ودفع السفير نحو الجدار ، وسحب مسدسه ، ليلصقه بمنتصف جبهته ، قائلاً فى غضب حاد :

ـ اسمع يا رجل .. سنترك لك سفارتك ودبلوماسيتك ، حتى لا تثير التوتر طوال الوقت ، ولكن عليك أنت أيضًا أن تترك لنا عملنا ونظم أمننا ، حتى لا نثير مشكلات ، أنت فى غنى عنها .

امتقع وجه السفير ، ولكنه قال فى عصبية :

ـ سأتقدم بشكوى رسمية .

صاح سير (ويليام) فى وجهه :

- افعـل .

ثم التفت إلى (جون) ، مستطردًا :

حلَّ (جـون) وثـاق (هشـام) ، ودفعـه فـى قسـوة إلـى النهوض ، ثم جذبه فى غلظة خارج القبو ، وتبعه (ويليام) ، وخلفه السفير ، يقول فى حدة :

- سير (ويليام) .. لقد حذرتك .

قال (ويليام) فى صرامة :

- يكفيك أن فعلت .

غـادر الثلاثة مبنى السفارة ، والسفير يتابعهم من خلف نـافذة الطابق السفلى ، مغمغمًا فى عصبية :

- هذه الأمور لن تنتهى حتمًا بسلام .

لم يسمعه (جون) أو سير (ويليام) ، وهما يدفعان (هشام) فى قسوة داخل سيارتهما ، وجلس الثانى إلى جواره ، يصوِّب إليه مسدسه ، فى حين قاد الأوَّل السيارة ، وانطلق بها وسط شـوارع (واشنطن) ، ودوريات الشرطـة تمر بهـم ، كل لحظـة وأخـرى ، ولكنها ما إن تلقى نظرة على الأرقام الدبلوماسـية ، حتـى تمض فى طريقها دون توقُّف ، فغمغم (جون) فى استهتار :

- رجال الأمن هنا يحتاجون إلى درس أمن مكثَّف .

زمجر سير (ويليام) ، وهو يقول فى صرامة :

- اصمت وامضِ فى سبيلك .

أطبق (جون) شفتيه فى حنق ، وواصل الانطلاق بالسـيارة ، لولا أن اعترضت إحدى سيارات الشرطة طريقه فجـأة ، وتوقَّفت ليهبط منها شرطيان ، قال أحدهما فى صرامة ، وهو ينحنى نحوه :

- أوراقك من فضلك .

أشار (جون) بيده ، قائلاً فى تعال :

- ألم تلمح تلك الأرقام الدبلوماسية ؟!

دار الشرطى الثانى حول السيارة ، وراح يتطلَّع إلى سير (ويليام) و(هشام) فى شك ..

كان سير (ويليام) و(جون) قد نزعا عنـه ثياب الشرطى ، واستبدلاها بزى مدنى عادى ، على الرغم من هذا فقد بدا الشرطى الثانى بالغ الشك ، فى حين كرَّر الأوَّل مطلبه فى غلظة :

- أوراقك من فضلك .

لم يكن (جون) يحمل أوراق السيارة ؛ لذا فقد قال فى صرامة :

- نحن نتمتع بحصانة دبلوماسية ، بحكم القانون الدولى ، و ...

تراجع الشرطى بحركة سريعة مفاجئة ، وسحب مسدسه ، وصوبه إلى (جون) ، قائلاً فى حدة :

ـ غادر السيارة .

امتدّت يد (جون) بحركة غريزية إلى مسدسه ، ولكن سير (ويليام) وضع يده على كتفه ، قائلاً فى حزم :

ـ اهـدأ .

سحب الشرطى الثانى مسدسه بدوره ، ودفعه عبر النافذة إلى وجه سير (ويليام) ، هاتفًا بكل الصرامة :

ـ أنت أيضًا .. غادر السيارة .

قال سير (ويليام) فى صرامة غاضبة :

ـ أنت بهذا تتجاوز صلاحياتك القانونية ، و ...

فجأة ، وبلا مقدمات ، هوى الشرطى بمسدسه على رأس سير (ويليام) ، فى موضع دقيق للغاية ، زاغت معه عينا الرجل لحظة ، فى دهشة وألم ، قبل أن يسقط رأسه فاقد الوعى ...

وفى غضب عصبى ، سحب (جون) مسدسه ، هاتفًا :

ـ أيها السـ ...

فوجئ بلكمة شديدة القوة والعنف ، تهوى على فكه ، من الشرطى الأوّل ، فأدار فوهة مسدسه نحوه ، ولكن حتى قبل أن تكتمل استدارته ، تلقى لكمة ثانية أشد عنفًا ، جعلت رأسه يرتطم بمقود السيارة ، ويفقد الوعى بدوره ...

وفى حركة سريعة ، جذب أحد الشرطيين (هشام) من السيارة ، ونقله إلى سيارة الشرطة ، التى انطلق بها الثانى على الفور ، (هشام) يغمغم فى توتر شديد :

ـ أنتما .. أنتما .

ربّت الشرطة الثانى على كتفه ، قائلاً :

ـ استرخ يا رجل .. نحن من الجبهة نفسها .

ردّد فى ذهول :

ـ الجبهة ؟!

أجابه الشرطى ، الذى يقود السيارة :

ـ المخابرات العامة المصرية .

هتف مبهورًا :

ـ رباه !.. كيف عرفتم أين أنا ؟!.. وكيف ...

قاطعه الثانى فى حزم :

ـ ستحصل على كل الإجابات ، عندما يصل جدك السيِّد (حسن) ، الذى يقود هذه العملية كلها .

وأضاف الأوَّل ، وهو ينطلق بالسيارة فى سرعة متوسطة ، لا تثير أيه شبهات :

ـ أو عندما يعود السيِّد (أدهم) .

سأله (هشام) فى لهفة :

ـ وأين هو ؟!

صمت الرجلان لحظات ، قبل أن يقول الثانى فى حزم واقتضاب :

ـ يعمل .

هتف :

ـ أين ؟!

هذه المرة ، لم يحصل على أى جواب من الرجلين ...

فقط إن (أدهم) يعمل ..

ولكن كيف ، وأين ؟!..

أين ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

شعر (يورى ساندوفيتش) ، العالم الروسى الشاب ، بتوتر ما بعده توتر ، وهو يسرع الخطى فى شوارع (موسكو) ، مع ملاحظته ذلك الرجل الضخم ، الذى يتبعه كظله ، منذ غادر معمل أبحاث الفضاء ، الذى يحتل فيه منصبًا رفيعًا ، على الرغم من صغر سنه ، وعلى الرغم من عبقريته الفذَّة فى مجاله ، فقد راح عقله يصنع خيالات وهمية مخيفة فى كيانه ، وهو يحاول البحث عن سبب منطقى ، يدفع أى شخص لتعقبه ، على هذا النحو ..

إنه ـ على الرغم من راتبه الكبير ـ شديد البساطة والتواضع فى مظهره ، ولا يحمل فى المعتاد أية نقود ، يمكن أن تثير شهية لص ما ، وليس لديه ، حسبما يذكر ويعى ، أية عداءات مع آخرين ، يمكن أن يضمروا له شرًّا ..

ثم إنهم ومنذ تفكك الاتحاد السوفيتى ، والاقتراب من الولايات المتحدة الأمريكية ، يتبادلون أحداث المعلومات مع الأمريكيين مباشرة ، مما ينفى أى احتمال يدفعهم إلى محاولة اختطافه ..

وذلك الضخم يبدو مخيفًا ..

غليظًا ..

قاسيًا ..

فلماذا يتبعه ؟!..

لماذا ؟!..

حاول أن يسرع الخطى ، حتى يبتعد عن الرجل ، إلا أن هذا الأخير أسرع الخطى بدوره ، مما ضاعف من خوف يورى وتوتره ، فراح يسرع ويسرع ، حتى تحوّل فعليًا إلى نوع من الجرى المذعور ، و ...

« توقَّف .. »

اعترض رجل ضخم آخر طريقه فجأة ، وظهر أمامه على نحو مباغت ، حتى إنه لم يستطع التوقُّف فى اللحظة المناسبة ، فارتطم به ، ثم تراجع فى ذعر شديد ، فارتطم بالأوّل ، ووجد نفسه فجأة ، محاصرًا بين الرجلين ، مما حوّل ذعره إلى هلع شديد ، وهو يدير بصره بين الرجلين ، قبل أن يهتف فى شبه انهيار :

ـ ماذا تريدان ؟!

بقى الأوّل صامتًا غليظًا ، فى حين سأله الثانى فى خشونة :

ـ أنت (يورى ساندوفيتش) .

انكمش (يورى) فى رعب ، مجيبًا بصوت مرتجف :

ـ هو أنا ، ولكن ..

حتى قبل أن يكمل عبارته ، انتزعه الرجلان من مكانه انتزاعًا ، ودفعاه داخل سيارة سوداء كبيرة ، ولم يكن قد أكمل ارتجافة رعبه بعد ، عندما كمّم أحدهما فمه فى قوة ، فى حين وضع الثانى عصابة سوداء سميكة على عينيه ، والسيارة تنطلق فى سرعة ..

وعلى الرغم من رعبه ، حاول (يورى) أن يعرف إلى أين تتجه السيارة ، إلا أن كل هذا قد توقَّف فجأة ، مع تلك الرائحة النفّاذة ، التى ملئت فمه وأنفه دفعة واحدة ، وتصاعدت فى سرعة إلى رأسه ، و ...

وفقد الوعى ..

لم يدر متى وكيف وإلى أى مدى فقد الوعى ، ولكنه استعاده فى بطء ؛ ليشعر بصمت مهيب يحيط به ، وهو ما زال يضع الكمامة وعصابة العين ، فغمغم فى توتر :

ـ أين أنا ؟!

أتاه الجواب بصوت صارم خشن ، يحمل نبرة وحشية شرسة ، ويقول فى اقتضاب مخيف :

ـ هنا .

لم يكن الجواب يعنى شيئًا ، مع اقتضابه ، والعصابة السوداء السميكة على عينيه ، فتساءل بصوت مرتجف :

ـ هنا أين ؟!

شعر بيد قاسية تنزع عصابة عينيه ، على نحو مؤلم ، جعله يطلق تأوهات خافتة ، ويغلق عينيه لحظات ، مع الضوء المبهر

فى المكان ، والذى احتاج منه لبعض الوقت ، قبل أن يجرؤ على فتح عينيه ، والتحديق فى الرجل الذى يجلس أمامه ، على مقعد فاخر ، أشبه بعرش من العروش الإمبراطورية القديمة ..

ولقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى وجه الرجل ..

صحيح أنه يحيا حياة بسيطة متواضعة ، وينشغل بالعلم طوال الوقت ، ولكن هذا لم يمنعه من متابعة ما يدور حوله ، ومعرفة ما أصاب المجتمع الروسى ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، فى مطلع تسعينات القرن العشرين ..

ولقد أرعبه أن يجد نفسه فى مواجهته مباشرة ..

وعلى هذا النحو ..

وبكل رعبه ، غمغم (يورى) :

ـ ماذا .. ماذا تريد منى ؟!

أشار (كوربوف) بيده ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك قد تعرّفتنى .

أومأ (يورى) برأسه إيجابًا فى صمت مذعور ، فلوّح (كوربوف) بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ ولست أظنك تمانع فى التعاون معى .

سأله (يورى) بحلق جاف ، وكلمات مرتجفة :

ـ ألدى خيار ؟!

أجابه فى صرامة وحشية :

ـ كلاً ..

حاول (يورى) عبثًا أن يجد ولو جرعة واحدة من اللعاب ليزدردها ، وهو يغغم فى بؤس .

ـ إذن .

لم ينطق سوى هذه الكلمة ، وجف حلقه بعدها تمامًا ، وظلّ يحدّق فى وجه (كوربوف) ، الذى قال ، وكأنه لايبالى برأيه :

ـ لدى مشكلة هنا ، أشار علىّ عقلى بأنها تحتاج إلى عالم ؛ لفك تعقيداتها .

لم ينطق (يورى) حرفًا واحدًا هذه المرة أيضًا ، ولم يرفع عينيه عن (كوربوف) ، الذى هبط من عرشه ، وراح يتحرّك فى المكان ، متابعًا فى اهتمام :

ـ لدى سلاح هنا ، أعلم أنه يساوى الكثير .. والكثير جدًا .. ربما أكثر مما يمكنك تخيله ، وأعلم أن هذا السلاح يتيح لمن يمتلكه قوة هائلة ، ربما تجعله أقوى رجل فى الأرض ، ولكن هناك مشكلة تواجه هذا ..

غمغم (يورى) ، وقد جذب الحديث اهتمـامه الشديد كعـالم ، مما كان له أكبر الأثر فى تقليص خوفه :

ـ أية مشكلة ؟!

واجهه (كوربوف) مباشرة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف يعمل .

حدَّق فيه (يورى) فى صمت ، فمال (كوربوف) نحوه ، متابعًا :

ـ وهذا يحتاج إلى عالم .

بالطبع ..

هذا يحتاج إلى عالم ..

عالم مثله ..

هذا ما دار فى ذهن (يورى) ، وهو يحدَّق فيه فى شغف ..

سلاح جديد ..

يسيطر على العالم ..

يا له من حلم !..

وبصوت مبحوح ، من فرط الانفعال ، سأله (يورى) :

ـ وأين هو ؟!

اعتدل (كوربوف) ، وأدرك أنه قد ربح الجولة ، وهو يقول :

ـ هنـا .

تلفَّت (يورى) حوله فى لهفـة ، ولكنـه لم ير سوى رجال (كوربوف) ، فى حين قال هذا الأخير ، وهو يشير إليهم :

ـ ستراه بنفسك بعد قليل .

عاون رجاله (يورى) على النهوض ، و(كوربوف) ينظر إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله مكررًا :

ـ هل ستتعاون معى ؟!

فى هذه المرة ، أجابه (يورى) بكل الشغف والحماس :

ـ بالتأكيد .

وابتسم (كوربوف) ..

ابتسم لأن السيطرة على العالم صارت قاب قوسين ..

أو أدنى ..

بكثير ..

* * *

فى هـذه المرة ، كان الموت قاب قوسين أو أدنى من (منـى) بالفعل ..

بل كان على قيد شعرة واحدة ..

أحد رجال القوات الخاصة الأمريكية يمسكها من شعرها بشـدة ، والآخر يهوى على قلبها بنصل خنجره القوى ، و ...

وفجأة ، وصل هو ..

نافذة أخرى تحطمت فى عنف ، ووثب عبرها (أدهم) ، وهو يهتف فى غضب هادر :

ـ لقد جرؤت .

لم تدرك ، مع مزيج دهشتها وفرحها ، كيف قطع تلك المسافة فى أقل من ربع الثانية ، ولا كيف أمسك معصم الرجل بيد من فولاذ ، قبل أن يبلغ النصل قلبها ، بأقل من سنتيمتر واحد ، وهو يكرّر :

ـ لقد جرؤت .

وفوجئت بالرجل يطير فى الهواء ، إثر لكمة كالقنبلة من (أدهم) ، الذى دار حول نفسه بسرعة مذهلة ؛ ليلكم الذى يمسك شعرها لكمة أكثر قوة ، مستطردًا ، بنفس ذلك الغضب الهادر :

ـ مسست شعرها .

ارتفع جسد الرجل إلى أعلى ، من قوة اللكمة ، ثم هوى على ظهره فاقد الوعى ، ورفع الثلاثة المتبقين فوهات مدافعهم نحو (أدهم) ..

أو أنهم حاولوا هذا ..

ففوهات المدافع الثلاثة لم تكن قد ارتفعت بعد ، عندما تهشّمت أسنان الأوّل بلكمة ساحقة ، وجحظت عينا الثانى ، وهو يشعر وكأن معدته ستثب من بين أسنانه مع تلك الركلة الرهيبة ، التى غاصت فى بطنه ، وشهق الثالث ، وأمسك عنقه ، الذى حطمته ركلة ثانية ، وهوى أرضًا محاولاً سحب ولو قدر ضئيل من الهواء ..

كان الغضب الهائل ، الذى تفجّر فى أعماق (أدهم) ، عندما أدرك أن (منى) تتعرض للخطر ، قد حوّله من إنسان إلى أسد ..

أسد هصور ..

غاضب ..

شـرس ..

حقيقى ..

أسد ، لم تستغرق معركتـه مـع خمسـة ، مـن عمالقـة القـوات الخاصة الأمريكية ، سوى ثانيتين فحسب ..

حتى (منى) نفسها ، لم تصدّق هذا ..

لم تصدّق أنه قد جاء ..

وقاتل كالأسود ..

وانتصر ..

من أجلها ..

وعنـدما استدار إليها بكل لهفـة الدنيا يسألها ، وهو يلهث على نحو عجيب :

ـ أأنت بخير ؟!

وجـدت نفسـها تتطلّع إليــه ، بكـل سـعادة وحب ولهفـة الدنيـا ، وبدون أن تـدرى ، وعلى الرغـم مـن كـل التقـاليـد ، التـى نشـأت وتربَّت عليهـا ، وجدت نفسـها تقفـز بين ذراعيـه ، هاتفـة :

ـ وكان المفترض أننا هنا لحمايتك .

احتواها بين ذراعيه بكل حب الدنيا ، ومنحها دفئًا وحنانًا طال اشتياقها واشتياقه إليهما ، وهو يقول فى حنان دافق :

ـ المهم أنك بخير .

كان يتمنى ، وكانت تتمنى أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد ، ولكنه أبعدها عنه فى رفق ، وهو يلتفت إلى (قدرى) ، قائلاً :

ـ يا لصديقى المسكين !

انحنى يفحص (قدرى) فى اهتمام ، فغمغمت هى فى قلق :

ـ سيأتى الباقون حتمًا .

أجابها فى صرامة أدهشتها :

ـ فليأتوا .

التقط بقايا الشطيرة ، التى سقطت من (قدرى) ، ولفها فى عناية فى منشفة صغيرة ، ثم دسّها فى جيب (قدرى) ، مستطردًا :

ـ أنا فى انتظارهم .

مالت عليه تسأله :

ـ ماذا يحدث بالضبط يا (أدهم) ؟!

نهض إليها ، وأمسك كتفيهـا ، وتطلّع إلى عينيها مباشـرة ، وهو يجيب فى جدية وحزم بالغين :

ـ العالم يا (منى) .. العالم كله فى خطر .

وفى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارتـه ، بدأ فريق القوات الخاصة الثانى هجومه المباشر ..

فى قلب (واشنطن) ..

وقلب الخطر .

★ ★ ★

8ـ الغـرب والشرق ..

نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها فى توتر شديد ، وهـى تقف فى شرفة قصرها الخاص ، فى تلك المنطقـة الهادئـة ، من ضواحى (نيويورك) ، وبدا مع نظرتها الشـاردة الثابتـة ، إنها غارقة فى التفكير فى أمر مـا ، يشغل بالها ويقلقها فـى شدة ، حتى إنها لم تسمع صوت خادمتها الخاصة ، وهى تقول :

ـ سنيور (ماريو) وصل ، ويطلب مقابلتك يا دونا .

ولما لم تحصل الخادمة على رد فعل واضح ، كـرّرت عبارتها بصوت أكثر ارتفاعًا ، فغمغمت دونـا فى شرود ، وهى تواصل التطلّع إلى اللاشىء :

ـ فى هذه الساعة .

قالت الخادمة :

ـ يقول إنه أمر عاجل .

التفتت إليها دونا فى بطء ، وغمغمت فى نفس الشرود ، وإن امتزج بلمحة من السخرية :

ـ عاجل ؟!

ثم استعادت صلابتها وحزمها ، كزعيمة لواحدة من أقوى المنظمات الإجرامية فى العالم ، وهى تستطرد :

ـ دعيه يأتى .

شدّت قامتها فى اعتداد ، وأطفأت سيجارتها فى حدة ، وهى تستقبل (ماريو) ، الذى بدا شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ لماذا طلبت انسحابنا يا دونا ؟!.. لقد كدنا نظفر به .

قالت بمنتهى السخرية :

ـ تظفرون به ؟!

أدرك (ماريو) معنى السخرية فى لهجتها ، فقال فى عصبية :

ـ ربما نجح فى الفرار منا فى (تشارلوزفيل) ، ولكننا على وشك الظفر به فى (واشنطن) .

قالت دونا ، فى صرامة ساخرة :

ـ لن تظفروا به ، حتى ولو حاصرتموه داخل حجرة مغلقة .

احتقن وجهه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ دونا .. إنك ...

قاطعته فى قسوة حادة :

ـ اصمت .

أشعلت سيجارة أخرى ، من سجائرها الملوّنة ، وقالت فى قوة :

ـ لست هنا لمناقشتك بشأن (أدهم صبرى) .. (واشنطن) كلها تسعى للظفر به الآن ، وانضمامنا إليها قد يعرض منظمتنا كلها للخطر ، فى مثل هذه الظروف .

سألها فى دهشة :

ـ دونا .. هل تعنين ...

قاطعته مرة أخرى فى صرامة :

ـ سننهى هذه المهمة تمامًا .

ثم التفتت إلى وجهه المندهش ، مستطردة فى خشونة عصبية :

ـ سنتركها لهم .

لم يصدّق أن دونا يمكن أن تنسحب ، من عملية مهمة كهذه ، بتلك البساطة ، إلا أنه لم يملك سوى أن يقول فى خضوع متوتر :

ـ كما تأمرين يا دونا .

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وراحت تحدّق فى شىء ما ، وهى ترتكن إلى سور شرفتها ، قبل أن تقول ، دون أن تواجهه :

ـ سأرسلك مع جيش مـن رجالنـا إلى جبهة أخرى ، ستحتاج منكم إلى كل الجهد والبراعة .. والشجاعة أيضًا .

جذبت كلماتها اهتمامه وانتباهه بشدة ، فمال يسألها فى حذر قلق :

ـ إلى أين يا دونا ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وصمتت لما يقرب من دقيقة كاملة ، قبـل أن تجيب فى لهجـة أرادتهـا قاسـية صارمة ، ولكنهـا جاءت على الرغم منها ، عصبية متوترة :

ـ (موسكو) ..

واتسعت عينا (ماريو) عن آخرهما ..

وارتجف جسده ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

فى عنف ..

حقيقى ..

★ ★ ★

على الرغم من سخافة الموقف وصعوبته ، لم يستطع السفير البريطانى كتمان شماتته الواضحة ، وهو يواجه (جون) وسير (ويليام) ، قائلاً :

ـ إذن فقد استعادوه منكما .

قال سير (ويليام) فى صرامة عصبية ، وهو يتحاشى النظر إليه :

ـ مجرّد افتراض .

ابتسم السفير ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فـى وقفـة أنيقـة ، وهو يقول :

ـ الأمر لا يحتاج إلى افتراضات .. إنه يبدو لى شديد الوضوح .. لقد اختطفتم مصريًا ، للوصول إلى رجل مخابرات من مواطنيه ، ومن الطبيعى أن يسعى رجال مخابرات دولته لاستعادته .. أليس هذا ما كنا سنفعله نحن فى حالة مماثلة ؟!

تبـادل سير (ويليـام) و(جـون) نظرة عصبية ، قبل أن يقول الأخير فى حدة :

ـ الأمر يبدو لك شديد الوضوح ؛ لأنك لا تفقه شيئًا عن عالمنا وتعقيداته .

بدا السفير ساخرًا ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!.. من المدهش ألا أفقه شيئًا ، فى عالم مثير كهذا ، على الرغم من أننى قد عملت فيه لعشر سنوات ، وحققت إنجازات تقرأ عنها أنت فى الكتب الآن ، يا صاحب السروال القصير(*) .

اتسعت عينا (جون) مع المفاجأة ، فى حين أشاح سير (ويليام) بوجهه فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح .

التفت إليه (جون) فى دهشة أكبر ، فى حين قال السفير ، ولهجته لا تخلو من رنة ساخرة ، على الرغم من رصانتها الظاهرية :

ـ ولكن هذا لا يمنعنى من سؤالك عن الافتراضات الأخرى .

أجابه (جون) فى خفوت ، بعد وهلة من الصمت :

ـ أن جهة ثالثة اختطفته .

سأله السفير :

ـ ولماذا ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ لنفس السبب ، الذى أخذناه من أجله ... الوصول إلى (أدهم صبرى) .

(*) صاحب السروال القصير : عبارة تصف شخصًا ما ؛ للسخرية منه ، باعتبار أنه ما زال طفلاً ، يرتدى سروالاً قصيرًا ، فى عالم من الكبار .

انعقد حاجبا السفير ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ المفترض أنكم متحالفون هذه المرة .

غمغم (جون) ، مشيحًا بوجهه :

ـ فى عالمنا ، لا يمكنك أن تضمن شيئًا .

مطَّ السفير شفتيه ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

استدار إليه سير (ويليام) ، قائلاً فى توتر :

ـ الآن وقد أثبت وجهة نظرك ، هل يمكنك أن تعاوننا على إتمام مهمتنا بنجاح .

قال السفير فى حزم :

ـ بشكل قانونى ؟!

قال (ويليام) فى صرامة :

ـ ليس بالضرورة .

صمت السفير بضع لحظات ، وكلاهما يتطلع إلى عينى الآخر مباشرة ، قبل أن يقول فى هدوء حازم :

ـ فليكن .. ماذا تريدان ؟!

والتمعت عينا سير (ويليام) ، مع دهشة (جون) ..

فها هو ذا تحالف جديد ينشأ ..

تحالف ضد الرجل نفسه ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

اتسعت عينا العالم الروسى (يورى ساندوفيتش) عن آخرهما ، وهو يقف أمام ذلك السلاح الرهيب ، الذى لم يملك أمامه سوى أن يردِّد فى انبهار ذاهل بلا حدود :

ـ مستحيل !

سأله (كوربوف) فى لهفة :

ـ هل أدركت ماهيته ؟!

أومأ (يورى) برأسه إيجابًا فى بطء ، وهو يقول فى لهجة ، مازال الانبهار يملأ كل لمحة منها :

ـ بالتأكيد .

سأله (كوربوف) بنفس اللهفة :

ـ إنه سلاح قوى .. أليس كذلك ؟!

التفت إليه (يورى) ، وقال بعينين تلتمعان انفعالاً :

ـ قوى ؟!.. بل رهيب يا رجل .. ولست أبالغ قط ، عندما أخبرك أنه منذ اختراع القنبلة الذرية ، لم يشهد العالم سلاحًا ، قادرًا على تغيير توازن القوى تمامًا ، مثل هذا الذى تراه أمامك .

ردَّد (كوربوف) ، وقد انتقل إليه الانبهار :

ـ تغيير توازن القوى ؟!

أجابه (يورى) ، فى انفعال جارف :

ـ من يمتلكه ، ويمكنه التحكُّم فيه ستثقل كفته كثيرًا فى ميزان القوى ، ولو تم حفظه جيدًا ، فحتى القنابل النووية ، لن يمكنها أن تظفر به .

صمت بضع لحظات ، تأمَّل فيها ذلك السلاح بمنتهى الإعجاب والانبهار ، قبل أن يضيف فى حماس :

ـ ثم إنه ما من قنبلة يمكن أن تصل إليه من الأساس .

اتسعت عينا (كوربوف) ، وراوده شعور مسبق بالقوة ..

ها هو ذا أقوى سلاح عرفه العالم فى تاريخه كله ، يقبع على قيد أمتار قليلة منه ..

وتحت سيطرته الكاملة ..

وذلك العالم تعرفه ..

ويستطيع قيادته ..

وتشغيله ..

وإطلاق طاقاته الهائلة ..

سلاح كهذا ، يمكن أن يربحه مليارات ، ومليارات ، ومليارات ..

أية دولة مستعدة لدفع آلاف المليارات ؛ لتحصل عليه ، وتجذب ميزان القوى نحو كفتها ..

ولتصبح أقوى دولة ..

أقوى دولة فى العالم كله ..

ولكنه ليس بالحماقة ليبيع سلاحًا مثله لأية دولة ..

مهما كانت المغريات ..

ومهما كان الثمن ..

فبوساطته ، سيصبح هو (أبل كوربوف) ، زعيم العالم الجديد ..

وبلا منازع ..

أو منافس ..

التمع كيانه كله بالفكرة ، حتى إن صوته قد بح بشدة ، وهو يسأل (يورى) فى لهفة واضحة :

ـ وهل يمكنك تشغيله ؟!

انتفخت أوداج (يورى) ، وهو يقول فى زهو ، مشيرًا إلى صدره :

ـ إن لم أستطع هذا ، فلا أحد فى الأرض كلها يستطيع .

قال (كوربوف) فى عصبية :

ـ هذا ليس جوابًا .

واجهه (يورى) فى ثقة وهو يقول :

ـ نعم ، يمكننى تشغيله .

تألقت عينا (كوربوف) فى ظفر ، ولكن (يورى) استدرك فى سرعة :

ـ ولكن ..

هتف به فى حدة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أشار (يورى) بيده إلى المكان ، قائلاً :

ـ ما زال هذا المكان يحتاج إلى استكمال معدات التشغيل .

قال (كوربوف) فى حزم :

ـ ماذا تحتاج ؟!

هزّ (يورى) كتفيه ، وهو يقول فى تردُّد :

ـ أخشى أنها ستتكلَّف ثروة .

سأله فى صرامة ونفاد صبر :

ـ كم ؟!

أجابه (يورى) فى تردد :

ـ خمسين مليونًا من الدولارات .. على الأقل .

أشار إليه (كوربوف) فى صرامة ، قائلاً :

ـ دوّن كل ما تحتاج إليه بالتفصيل ، واستعد لتبدأ عملك ظهر الغد .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ على الأكثر .

وتألَّقت عينا (يورى) فى شدة ، حتى كادتا تضيئان المكان ..

ما يخبره به (كوربوف) هو حلم أو عالم ..

تحد علمى .

وإمكانيات بلا حدود ..

ومع هـذا وذاك ، لم يكن لديه أدنى شك فى أنه سيصنع أقـوى سلاح عرفته البشرية ..

على الإطلاق ..

سلاح قادر على تدمير الأرض كلها ..

فى لحظة واحدة ..

★ ★ ★

على الرغم من وقع الأقدام الثقيلة ، التى تندفع نحو المنزل ، من كل صوب ، وعلى الرغم من حالة التوتـر العنيف ، التى أفقدت (قدرى) شهيته تمامًا ، مع استعادته وعيه ، والتى جعلت (منى) تمسك مسدسها فى قوة وتحفز ، بدا (أدهم) هادئـًا على نحو

مستفز ، وهو يداعب هاتفه المحمول ، وكأنما لاشيء في الدنيا كلها يمكن أن يقلقه ..

والعجيب أن ملامحه لم تكن مسترخية كجسده ، بـل بـدت صارمة ، وحازمة ، وكأنه مستعد لقتال بالغ العنف ..

ولكن المدهش أنه لم يكن يفعل شيئًا ..

أى شىء !!..

وتلك الأقدام الثقيلة كانت تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

« ألن تفعل شيئًا ؟!... »

هتفت (منى) بالعبارة فى توتر شديد ، فأجابها (أدهم) دون أن يلتفت إليها .

- كـلا .

حدّقت فيه فى دهشة مستنكرة ، فى حين قال (قدرى) بصوت مرتجف :

- (أدهم) .. إنك تخفى شيئًا .. أليس كذلك ؟!

التفت إليه (أدهم) فى بطء ، قائلاً فى صرامة :

- أو فلنقل إننى قد سئمت لعبة الدفاع هذه .

سألته (منى) فى ارتياع :

- (أدهم) .. ماذا تنوى ؟!

أجابها فى حزم مخيف :

- الهجوم .

لم يكـد ينطقهـا ، حتى اخترقت النافذة قنبلة دخان ، لم يكد (أدهم) يلمحها ، حتى وثب من مقعده برشاقة أذهلت (منى) نفسها ، وعبر نصف الحجرة تقريبًا ؛ ليلتقط القنبلة فى الهـواء ، ويلقيها مرة أخرى عبر النافذة ..

وقبل أن تصل تلك القنبلة إلى الأرض ، أو هذا ما بدا ، تحطمت آخر نوافذ المكان بثلاث قنابل يدوية دفعة واحدة ..

وتراجعت (منى) فى ذعر ..

واتسعت عينا (قدرى) عن آخرهما ..

ولأوّل مرة فى تاريخهـا ، استيقظت العاصمـة الأمريكيـة علـى انفجار مـدوٍّ ..

انفجار هزَّ أركانها تقريبًا ..

انفجار له رائحة مميَّزة مخيفة ..

رائحة الموت .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله وشكره

ويليه الجزء الأخير

(الوداع)

ملف المستقبل

صدر من هذه السلسلة

1 — لعنة الموت .
2 — اختفاء صاروخ .
3 — مدينة الأعماق .
4 — غزاة الفضاء .
5 — القنبلة الغامضة .
6 — زائر من المستقبل .
7 — جنون مطاردة .
8 — الارتجاج القاتل .
9 — صراع الحواس .
10 — الفارس المجهول .
11 — منطقة الرعب .
12 — طريق الأشباح .
13 — الزمن المفقود .
14 — نداء النجوم .
15 — مثلث الأدوش .
16 — الوباء الجهنمى .
17 — نبض الخلود .
18 — ظلال الذرع .
19 — عيون الهلاك .
20 — العقول المعدنية .
21 — أطياف الماضى .
22 — ليلة الرعب .
23 — بصمات السحرة .
24 — الضوء الأسود .
25 — صحوة الشر .
26 — لعنة الفضاء .
27 — الفخ الزجاجى .
28 — النهر القلنس .
29 — الإيقاع القاتل .
30 — النار الباردة .
31 — رنين الصمت .
32 — الأفق الأخضر .
33 — حارس الأرواح .
34 — وحش المحيط .
35 — مرآة الغد .
36 — الموت الأزرق جـ 1 .
37 — السماء المظلمة جـ 2 .
38 — من وراء النجوم جـ 3 .
39 — الثلوج الساخنة .
40 — علامات الخوف .
41 — مملكة النار .
42 — الأرض الثانية .
43 — ثقب فى التاريخ .
44 — الخارقون .
45 — السحاب الأحمر .
46 — الكوكب الملعون .
47 — القاتل الأخير .
48 — سجن القمر .
49 — غزو الأرض .
50 — الأسطورة .
51 — الخلية القاتلة جـ 1 .
52 — العلم الخفى جـ2 .
53 — أمطار الموت .
54 — عبر العصور جـ 1 .
55 — أسرى الزمن جـ 2 .
56 — شيطان الأجيال جـ3 .
57 — منطقة الشباح .
58 — معركة الكوكب جـ 1 .
59 — جحيم أرغون جـ 2 .
60 — أرض العمالقة .
61 — الكابوس .
62 — سادة الأعماق جـ 1 .
63 — المحيط الملتهب جـ 2 .
64 — السيف البلورى جـ 1 .
65 — أيوب الموت جـ 2 .
66 — الشمس الزرقاء .
67 — شيطان الفضاء .
68 — عقول الشر .
69 — العالم الآخر .
70 — المثار الأسود .
71 — أمير الظلام .
72 — ابن الشيطان جـ 1 .
73 — مبعوث الجحيم جـ2 .
74 — الصراع الجهنمى جـ3 .
75 — الجولة الأخيرة جـ4 .
76 — الاحتلال جـ 1 .
77 — المقاومة جـ 2 .
78 — الصراع جـ 3 .
79 — التحدى جـ 4 .
80 — النصر جـ 5 .
81 — رمز القوة .
82 — حصن الشرار .
83 — أرض العدم .
84 — كنز الفضاء .
85 — الأمل الفيروزى .
86 — الإمبراطور .
87 — نصف آلى .
88 — الانفجار الحى .
89 — البركان .
90 — رعب فى الأعماق .
91 — ضد الزمن .
92 — الرحلة الرهيبة .
93 — نقطة الصفر .
94 — الساحر .
95 — القوة السوداء .
96 — بلور الشر .
97 — لهيب الكواكب .
98 — نيران الكون .
99 — الانفجار .
100 — الزمن = صفر .
101 — الحرباء .
102 — التوءم الرهيب .
103 — الأرض المفقودة .
104 — أنياب ومخالب .

سرى جدًا !!

105 — وجوه من ثلج .
106 — بلا أثر .
107 — لعنة الدم .
108 — مصيدة الفضاء .
109 — الدوامة .
110 — الفجوة السوداء .
111 — كوكب الطغاة .
112 — بصمة الموت .
113 — حرب الفيروسات .
114 — الرعب .
115 — العدو الخارق .
116 — العاصفة النووية .
117 — فارس الزمن .
118 — ألف عصر .
119 — زمن الدم .
120 — الفارس الثانى .
121 — المجهول .
122 — الظلال الرهيبة .
123 — دائرة الظل .
124 — الغزاة .
125 — كرة النار .
126 — لهيب الرعب .
127 — طريق النجوم .
128 — الزمن الآخر .
129 — وراء العقل .
130 — القوة .
131 — العاصفة .
132 — الرمال الحية .
133 — نقطة التماس .
134 — سادة الكون .
135 — فودو .
136 — الأحراش الأسطورية .
137 — الشر .
138 — الأعماق .
139 — حرب الأشباح .
140 — قراصنة الزمن .
141 — التمايين .
142 — أنياب .
143 — بلا جسد .
144 — العقل .
145 — المسخ الرهيب .
146 — البقعة المظلمة .
147 — الصاعوة الكبرى .
148 — عودة الشر .
149 — الفخ .
150 — آخر العمالقة .
151 — بلا وعى .
152 — الفيروس .
153 — المفقودون .
154 — الزئبق الجاف .
155 — الكهف .
156 — عالم جديد .
157 — أطلال الماضى .
158 — حروب الغد .